الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

مسار: تاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث و المعاصر

موسومة بـ:

التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائر (1881-1908م)

إعداد الطالبة:

- حلالس سعاد
- خوجة دنية

إشراف الدكتور:

- حباش فاطمة

لجنة المناقشة:

د. بليل محمد ..... رئيسا

د. حباس فاطمة ..... مشرفا

أ. خنفار حبيب..... مناقشا

السنة الجامعية 2016/2017م

كلمة شكـــر

إن الحمد لله نحمده ونشكره ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونسترشده ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد من يضلل فلن تجد له وليا **مرشدا**أشكر الله سبحانه وتعالى على نعمة العقل وعلى منحه إيانا القوة والأمل ، والإرادة لتجاوز كل العقبات، والوصول إلى نهاية المطاف .

كما نتوجه بالشكر الجزيل للأستاذة الفاضلة المشرفة **حباش فاطمة** ، التي تابعت معنا خطوات بحثنا ولم تبخل علينا بتوجيهاتها وإرشاداتها. كما نوجه شكرنا للأساتذة الأجلاء الذين ساهموا في تاطيرنا ونخص بالذكر :

1-الأستاذ الدكتور:زاهي محمد .

2-الأستاذ الدكتور:عبد الله الحمادي الإدريسي.

3-الأستاذ الدكتور :بن صحراوي كمال.

4-الأستاذ الدكتور :موساوي المجذوب.

كما ننوه بمجهودات جامعة تيارت وبالأخص كلية العلوم الانسانية الاجتماعية التي ساهمت كثير في نجاح تاطيرنا طيلة مدة التكوين، وعمال المكتبات الوطنية في كل من ولاية تيارت تيسمسيلت وبسكرة.

كما أنشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد على إتمام هذا العمل المتواضع الذي أنتمنى أن يكون عون لجميع الطلبة في مستقبلا .

إهـداء:

إلى من قال فيهما الله عز وجل " واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا" ، إلى من أحيا بوجودهما وأهنأ بسعادتهماإلى كل من تحديا كل شيء في سبيل نجاحي وسعادتي .

إلى من حزنت لحزني وفرحت لفرحي، وتعبت وتحملت الكثير من اجلي، إليك يا من عطشت لتشفي غليلي، وكنت السر في بسمتي، إليك يا من ربت وسهرت دون أن تكلي.

إلى أعز وأحن أم في الوجود، حبيبتي أمي حفظها الله إلى من غمرني بسابغ بره وجوده كرمه، إلى الذي لم يبخل علي بالنفس والنفيس، والذي لو أنفقت كنوز الدنيا ما وفيت حقه ، وليكن هذا العمل قطرة ندى أزين بها بحر جميلك الذي لا يفنى، إلى قدوتي ومثلى الأعلى، وشمعة دربي والدي الحبيب حفظه الله.

إلى أختي الغالية عائشة وزوجها رابح وبنتها مروة حفضهما الله ،إلى أختي فاطمة التي لم تبخل علينا بالعطاء أطال الله في عمرها، إلى إخوتي محمد وإبراهيم ورشيد.

الى زوجات أخوتي:عائشة وصليحة، إلى زوجي العزيز :حراز محمد حفظه الله وأطال في عمره، إلى أبناء إخوتي :سناء وهدى، خضرة، عمر،ياسر، عماد شمس الدين، محمد أمين، وكتكوت الصغيرة إنصاف، إلى كل من تقاسمت معهن أحلى ذكريات الجامعة واخص بالذكر صديقتي وأختي الغالية دنية التي دعمتني طيلة المسار الجامعي ولم تبخل على بالعطاء، إلى كل الرفيقاتي بخته، إيمان، كلثوم، حنان، فوزية، نجاة، إلى كل أفراد عائلة زوجي حراز :امي الثانية لويزة، حبيبة، احمد، عبد القادر، عبد اللطيف، إلى كل من تناساهم قلمي، لتبقى ذكراهم في قلبي، إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي.

سعاد

إهداء

اهدي هذا العمل المتواضع إلى:

من كان سندي وقوتي بعد الله أبي العزيز اسأل الله ان ترحمه وتسكنه فسيح جنانه.

إلى ينبوع الصبر والتفاؤل والأمل إلى التي جعلت الجنة تحت أقدامها ريحان حناني وبهجتها العزيزة أمي أسال الله ان يحفظها .

إلى أغلى الناس لدي إخوتي وأخواتي :محمد، الحاج، يزيد، زهرة، مازية، خيرة، وحشية، عائشة، ميمونة.

إلى اولاد أخواتي :خالد، محمد، خالد، يونس، احمد، وردة، فاطمة، ماريا، رغدة، ماريا.

إلى كتاكيت الصغار، زكريا، اسامة، ندى، يوسف، امين.

إلى الأخت ورفيقة الدرب التي تقاسمت معها هذا العمل سعاد.

إلى كل من عايشوني في السعادة والشقاء ونالوا بجدارة كلمة الأصدقاء:بخة،سمية،نوال، إيمان كلثوم، نصيرة، حنان، سعاد، فوزية، نجاة.

دنية

مقدمة:

لقد وقعت الجزائر أيادي الاحتلال الفرنسي سنة 1830 م، بحجة الدفاع عن الشرف الفرنسي أثر إهانة الداي حسين للقنصل دوفال وبعد إنزال القوات الفرنسية في معركة سطوالي وتوقيع الداي معاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1830م، حينها بدأت أنظار الفرنسيين تتجه نحو الصحراء لاستيلاء على كنوزها.

وفعلا قام الفرنسيون بالاعتماد على كتب الرحالة القدامى، ومعلومات بعض سكان المنطقة المقيمين في الشمال بإرسال البعثات الاستكشافية نحو الصحراء الجزائرية عموما والغربية بوجه خاص بغرض معرفة منطقة الجنوب الغربي، حتى تسهل السيطرة عليه فيما بعد وذلك لأنها كانت تمثل محطة ومنطلق للقوافل التجارية، من أعماق القارة الإفريقية وإمكانيات الزراعية والصناعية الاستثنائية.

إلا أن الطموحات الفرنسية في احتلال الجنوب الغربي الجزائري اصطدمت بالرفض شعبي كبير تترجم في العديد من ثورات والمقاومات الشعبية، التي عبر بها سكان الجنوب الغربي عن رفضهم للاستعمار الفرنسي،كثورة بوعمامة وأولاد سيدي الشيخ .

ويعتبر التوسع الفرنسي في الجنوب من أهم الأحداث التي عرفتها الجزائر خاصة منطقة الجنوب الغربي الجزائري، ومن هنا تتضح لنا الأهمية التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع،التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي وإخضاعه للدراسة من منطلق تعدد مزاياه وأهميته ومن أهمها مايلي :

أولا :الرغبة في دراسة التاريخ المحلي لمنطقة الجنوب الغربي الجزائري ، وذلك من اجل التعرف علي تاريخ المنطقة والأقاليم الصحراوية، لأن مثل هذه الدراسات تقدم لنا المادة الأولية التي يمكن أن نستخلص منها الخطوط العريضة للتطور التاريخي للبلاد وما يلاحظ أن اغلب البحوث والدراسات التاريخية، التي تناولت دراسة تاريخ المناطق والأقاليم الصحراوية من مختلف جوانبها .

ثانيا: قلة تناول الدراسات الأكاديمية لموضوع التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري رغم ما تتمتع به المنطقة من أحداث تاريخية، عرفتها خاصة أثناء الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية.

ثالثا: معرفة المزيد حول التوسع الفرنسي في منطقة الجنوب الغربي الجزائري باعتبارها من أهم المناطق التي استهوت السلطات الاستعمارية، من أجل التوسع فيها فوضعت لأجلها عدة مشاريع من خلال تكثيف البعثات الاستكشافية، والقيام بالحملات التوسعية العسكرية.

رابعا :التعرف على أهم المقاومات التي عرفتها منطقة الجنوب الغربي الجزائري،و مثلت محطة هامة في مقاومة سكان الصحراء بصفة خاصة والشعب الجزائري بصفة عامة للاحتلال الفرنسي و كادت تكون مجهولة لدى الكثير من الباحثين لذلك تعتبر من المواضيع التي تحتاج إلى المزيد من الاهتمام والتعمق، في مجال البحث والدراسة .

أما فيما يخص أهداف هذه الدراسة هو إبراز لبطولة الشعب الجزائري ، الذي لم يرضى بالاحتلال الأجنبي ، فلم يسترح يوما إلا ليعد العدة للنهوض من جديد دفاعا عن وطنه، ومنه التعرف على أهم الدافع ولأسباب التي جعلت المستعمر الفرنسي يتوسع في الجنوب الغربي واحتلال أهم مناطقه إضافة إلى معرفة أهم شخصيات التي قادت المقاومة ودافعت عن وطنها .

ولإنجاز هذا البحث تم طرح الإشكالية رئيسية التي فحواها: كيف تم توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري؟وفيما تمثلت ردود الفعل الوطنية؟

تفرعت عنها استفهامات عدة بدايتها : ما هي أ هم دوافع احتلال الفرنسي للجنوب الغربي الجزائري ؟وفيما تمثلت أهم الحملات العسكرية علي منطقة الجنوب الغربي؟وهل كانت للمقاومات الشعبية في الجنوب الغربي دور في ردع الاحتلال الأجنبي فيما تمثلت ردودها؟

وبالنسبة لمعالجة هذا البحث التاريخي وفك الإشكالية فقد اعتمدنا على منهج الوصفي،لان طبيعة الموضوع تفرض استعراض الأحداث التاريخية واهم مراحلها بكل تفاصيلها، كما سمح لنا بتتبع الجذور التاريخية للنمط الإداري الفرنسي بالجزائر والصحراء الجزائرية، وخاصة في الجنوب ومنهج التاريخي التحليلي، الذي اعتمدنا عليه في سرد الأحداث وجمع المادة التاريخية ودراستها وتحليلها ونقدها ومقارنتها،للوصول إلى تفسير تاريخي وبالتالي الوصول إلى الحقيقة التاريخية .

ومنه كانت خطة البحث كشكل التالي: فقد تم تقسيم هذه المذكرة إلى مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة ملاحق وقائمة المراجع والمصادر وفهرس.

تناولنا في المدخل الايطار الجغرافي والبشري للجنوب الغربي ، والذي تحدثنا فيه عن جغرافية المنطقة ، وأهم حدودها ومناطقها ،ومنه إعطاء لمحة جغرافية عن المنطقة من حيث الموقع والتضاريس والمناخ و الغطاء النباتي، وكذا النشاط البشري، وذكر أهم القبائل التي تقطن بالمنطقة، وكان لها اثر كبير في الدفاع عنها.

أما الفصل الأول :فقد كان تحت عنوان الاهتمام الفرنسيون بالجنوب الغربي من الفترة الممتدة من 1850 -1864م، الذي أبرزنا فيه أهم العلا قات التي ربطت بين الفرنسيون وقبائل الجنوب الغربي بهدف إخضاعها من خلال أهم الحملات العسكرية التادبية وكذا تعرضنا لثورة أولاد سيدي الشيخ كرد فعل على الحملات .

وبخصوص الفصل الثاني :فخصصناه لدراسة أهم الدوافع التي أدت بالسلطات الفرنسية لتوسع في منطقة الجنوب الغربي ، من أجل إبراز نوايا فرنسا في احتلال المنطقة والسيطرة على ثرواتها واستغلال سكانها، كل ذلك نقشناه من خلال الأسباب السياسية والاقتصادية والإجتماعية هذه الأخيرة التي حاولت فرنسا من خلالها تنصير أبنائها وسلبهم لهويتهم الشخصية .

وفي الفصل الثالث :الذي يعتبر جوهر الدراسة فقد خصص للغزو الفرنسي لمنطقة الجنوب الغربي، حاولت فرنسا من خلاله توسيع نطاق نفوذها في الصحراء وذلك بإحتلال مناطقها فكان للجنوب الغربي نصيب منه، فركزت على المناطق ذات المواقع الاسترتيجية، التي تزخر بثروات معدنية هائلة منها الساورة، وإحتلال إقليم توات وعين الصفراء.

الفصل الرابع : حمل عنوان ردود الفعل عن احتلال منطقة الجنوب الغربي، فكان مقاومة الشيخ بوعمامة سنة 1881م، نموذج عن أعنف المقاومات في المنطقة، أعطينا فيه نبذة تاريخية عن شخصية بوعمامة، وأسباب اندلاعمقاومته منها الداخلية والخارجية، وأهم مراحلها بداية بالمرحلة

الهدوء والاستقرار من 1881-1883م، والمرحلة العسكرية 1883- 1903م، وأهم عوامل فشلها ومن ردود الفعل الثقافية عالجنا دور الزوايا والكتاتيب القرآنية من خلال دورها العلمي في القضاء على الجهل وتوعية الشعب الجزائري للتمسك بهوية الوطنية والدينية .

وضمننا بحثنا بخاتمة كانت كحوصلة تضمنتأبرز وأهم النتائج المتوصل لها من خلال دراسة ومناقشة موضوع البحث.

وعن المادة العلمية في هذه الدراسة، كان اعتمادنا على مجموعة من المصادر والمراجع، كما كانت للمجلات والأطروحات الجامعية دور كبير في إفادتنا وتدعيمنا في هذا الموضوع وفيما يخص أهم **المصادر** المعتمدة كان إعتمادنا على الرحالة ترملي Teroumeliaفي كتابه الفرنسيون في الصحراء الذي أفادنا في التعرف على أهم المناطق الصحراوية والقبائل القاطنة بها وخاصة عاداتهم وتقاليدهم وهذا ما ضمنه في المدخل من الجانب البشري لمنطقة الجنوب الغربي، وكذلك فيلكسي جاكو من خلال كتابه حملة الجنرال كافيناك في الصحراء الجزائرية، ناقشنا من خلاله حملته في الصحراء والجنوب الغربي، كما كان لكتاب تشرشل هنري شارل،حياة الأمير عبد القادر،دور في تعرف على اهم الهجومات التي قامت بها السلطات الفرنسية ضد الأمير عبد القادر، والدور الذي لعبته المقاومة في التصدي لهذه الحملات

أما المراجع فقد كان لدكتور إبراهيم مياسي دور كبير في تدعيمنا من خلال كتبه التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي والإحتلال الفرنسي في الصحراء الجزائرية، في أفادتنا في جل بحثنا من مدخل الذي ناقشنا فيه الإيطار البشري والجغرافي لمنطقة الجنوب الغربي إلى غاية الفصل الأخير،والعربي إسماعيل في كتابيه الصحراء الكبرى وشواطئها، الذي دعمنا في تعرف على أهم الثروات الإقتصادية في منطقة الجنوب الغربي الصحراوي إضافة إلى الجانب معالجة أهم الدوافع الدينية والسياسية لإحتلال المنطقة.

كان للمجلات دور لا ننكره في كسب المادة العلمية التي منها مجلة الثقافة في عدديها 6و68 من خلال مقالات يحي بوعزيز التي دعمتنا في ثورة أولاد سيدي الشيخ وأهم الاتصالات بين قبائل الجنوب الغربي والسلطات الفرنسية كما أفادنا في تعرف على أهم الشخصيات والإطلاع عليها منها شخصية الشيخ بوعمامة الذي عرفنا عليها كذلك الأستاذ خليفي عبد القادر في مجلة المصادر العدد الأول من خلال مقاله صورة الشيخ بوعمامة في التصدي للتوسع الاستعماري وطلعنا عليه كذلك من خلال الأستاذ محمد بلغيث، مجلة كلية أصول الدين العدد الثاني،في مقال الشيخ بوعمامة القائد المتصوف.

من الأطرحات والدوريات الجامعية دعمتنا أطروحة الأستاذ المشرفة الأستاذ حباش فاطمة من خلال مذكرتها المكاتب العربية ودورها في المد الإستعماري بالغرب الجزائري 1844-1870م، في التعرف على أهم الحملات العسكرية في منطقة الجنوب الغربي الجزائري، بالإضافة إلى الإتصالات بين القبائل والإدارة الاستعمارية، ومنه كان لمذكرة الأستاذ قيطون بن حمزة، المشروع الإستيطاني في إقليم عين الصفراء كذلك دور في التعرف على المستعمرات الفرنسية في الجنوب الغربي منها عين الصفراء و بعض المعلومات عن منطقة الساورة .

وفي أخر المقدمة يمكن القول أنه قد واجهتنا بعض الصعوبات في هذا البحث في كون وجود معظم الكتب التي تتحدث عن الصحراء عامة وعن الجنوب الغربي خاصة بالغة الفرنسي، وكذا قلة المصادر التاريخية المتخصصة في الموضوع التي تدرسه بعمق، وكذلك قلة الوثائق التاريخية لأن دراسة مثل هذه المواضيع تحتاج لإطلاع على الأرشيف الفرنسي، إضافة إلى تضارب في المعلومات في هذه المراجع وتداخل الأحداث والاختلاف في التواريخ والإحصاءات فيم بينها..

لمحة عن الإطار الجغرافي والبشري للجنوب الغربي:

يعتبر الإطار الجغرافي للصحراء الجزائرية ضمن إطار الصحراء الكبرى الإفريقية التي تمتد من المحيط الأطلسي غربًا إلى البحر الأحمر شرقًا، يحدها من الشمال الجبال الأطلسية ومن الشمال الشرقي ساحل البحر الأبيض المتوسط، أمّا من الناحية الجنوبية فيحدها ما يعرف ببلدان غرب السودان[1].

تغطي الصحراء الكبرى مساحة تقدر بثمانية ملايين كيلومتر مربع، تشترك فيها كل من جنوب المغرب الأقصى والجزائر وتونس وليبيا ومصر من الشمال، وموريتانيا والصحراء الغربية، ومالي والنيجر وتشاد والسودان من الجنوب، وينقسم الجنوب الجزائري من حيث البنية التضاريسية إلى عدة أقسام رئيسية هي:

القسم الأول: والمتمثل في الزاوية المثالية الشرقية ويتميز بمنخفض بحوالي أربعة وعشرين متر تحت مستوى سطح البحر، بينما الأراضي المجاورة لا يزيد سطحها على ارتفاع مائتي متر، ولهذه الأراضي أهمية اقتصادية تتمثل في انتشار الواحات، منها واحة الزيبان(*)شمالا، ووادي ريغ*، وورقلة جنوب كما أنها تزخر بكميات معتبرة من الثروات.[2]

---

[1]- جيلالي صاري، دور البيئة في الجزائر، ط1، الجزائر، 1983، ص ص 18-20

* **وادي ريغ**، يقع بين دائرتي عرض 54 و 32 و 9 و 34 شرقا طوله حوالي 160كلم2 وعرضه ما بين 30 و 40 كلم، يبدأ من عين الصفراء وينتهي بقرية فوق جنوب ورقلة، ينظر: علي غنابزية ، نفسه، ص 115.

***واحة الزيبان**: يحدد هذا الإقليم بخطي طول 42 و 5 شرقا وخطي عرض 27 و 30 شمالا ويحدها شمالا جبال لأوراس وجنوبا وادي ريغ وشرقا تونس وغربا واحات وادي ريغ وشرقا تونس وغربا واحات وادي سوف، وتنقسم إلى زاب الشرقي وزاب الغربي والظهروي، ينظر: عبد القادر بومعزة، بسكرة في عيون الرحالة الفرنسيين الغربيين، ج 1 ، ط 1، دار علي بن زياد للطباعة والنشر، الجزائر، ص 19.

[2]- إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، (1837- 1934)، دار هومة، الجزائر، 2005، ص ص 12،13.

القسم الثاني: وهو الذي يشغل الجزء الأكبر من الصحراء ويشمل أكبر المساحات التي تغطيها الكثبان الرملية، وأهمها العرق الشرقي الكبير، والعرق الغربي الكبير إلى جانب العروق الأخرى الثانوية كعرق شاش وعرق إيقدي وعرق الراوي[1] وغيرها، ويحتوي هذا الأخير كذلك ما يعرف بالرق وهي الصحراء الحصوية التي تكاد تكون خالية من مظاهر الحياة مثل "تزروفت".

ويتمثل الجزء الثالث من المنطقة الهضابية وهي في معظمها ذات تكوينات جيرية، ومنها هضبة لحمادة*، التي تمتد من الجزء الشمالي من الصحراء إلى الجنوب من السلسلة الأطلسية وهضبة تادمايت الفسيحة الممتدة بين دائرتي عرض 27و 30 شمالا، وترتفع إلى علو يقارب 600 متر، وقد غطتها على امتداد مئات الكيلومترات من الشمال إلى الجنوب طبقة من اللون الأحمر القديم، وتعلو تلك الطبقة غطاء صحراوي وإن كانت تدفقات السيول قد شاركت في تكوينه، وهذه الهضاب التي تسودها أحوال لا تسمح للإنسان بأن يستقر بها عموما[2].

وفيما يخص آخر جزء فهو يتعلق بالمرتفعات التي تتمركز في أقصى الجنوب الشرقي، وتمثلها منطقة التاسيلي، ومنطقة الهقار، فالأول عبارة عن صخور صلصال (رملي) شاهقة ومتقطعة، أما المنطقة الثانية فهي مرتفعات الهقار، ومساحتها تقدر بحوالي خمسمائة ألف كيلومتر[2]، معظمها من البركانية القديمة التي تعرضت لعملية الحث في كل مكان، ورغم ذلك فلا تزال بها قمم عالية تصل إلى ما يقارب ثلاث ألاف متر، كقمة "طاهات" التي يبلغ ارتفاعها إلى ألفين وتسعمائة وثمانية عشر مترا، وهي تعتبر أعلى قمة جبلية في الجزائر، ورغم عزلة هذه المنطقة وحرمانها، فإنها تتمتع بأهمية اقتصادية، وهي من أهم ملامح التضاريس بالجنوب الجزائري[3].

---

[1]- جراية محمد رشيد، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث،إشراف الدكتور عبد العزيز لحرش، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم تخصص الحضارات القديمة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007- 2008، ص 16.

***الحمادة:** هي عبارة عن هضاب بعضها صخور جيرية ممتدة في شكل صفائح طبقية، حمادة الذراع في الحدود الجزائرية المغربية و حمادة تقادمت شمال عين صالح، ينظر: عميروای أحميدة، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية1814 - 1916 ، دار الهدى ، الجزائر، 2009، ص 11.

[2]- جودة حسنين جودة، دراسات في الجغرافية الطبيعية للصحاري العربية، (دط)، لبنان، 1980، ص 72.

[3]- إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراءالجزائرية، المرجع السابق، ص 13.

أما الجنوب الغربي وهي الناحية المدروسة وتدخل ضمن القسم الثاني حيثتحتوي مظاهرها التضاريسية على جبال قصور وعمور بالأطلس الصحراوي، و لحمادة، والعرق الغربي وعرق إيقدي والراوي، وعرق شاش هذه العروق التي تنتشر بها واحات خضراء، ثم تادمايت في الوسط.

فالصحراء في تركيبها الجغرافي أبسط من المنطقة التلية، إذ لا يوجد بها الجبال المتقطعة ولا المرتفعات المعقدة ولا السهول الضيقة المحصورة ولا الإلتواءات الحديثة، ولكن نجد السهول التحتانية الواسعة، والأحواض المغلقة، والجبال بحافتها الشديدة الانحدار والعروق الرملية المتنقلة[1].

تحتوي الصحراء على موارد مائية معتبرة، خاصة في الجزء الأكبر من باطنها والأكثرأهمية في الأحواض الثنائية والثلاثية الشاسعة والممتدة بين الكتل الجبلية ومن بينها الحوض الترسي للصحراء المنخفضة في الجزء الشمالي الشرقي، الذي يخزن كميات هائلة من المياه قدرت بحوالي 60000 مليار متر مكعب، ويتألف من سطحين مركبين، الأول ارتوازي سطحي متجدد يعرف بالقاري النهائي والمتمركز في وادي ريغ،يتغذى من السيول الصحراوية الممتدة على طول الحواف الصخرية المحيطة بالعرق الشرقي، أما الثاني فهو القاري المتداخل المتواجد في أعماق تتراوح ما بين 800 – 1500 متر، ويتزود من السيول الحاصلة على الأطلس الصحراوي والهضاب العليا[2].

[1]– عبد القادر حليمي، جغرافية الجزائر، طبيعية البشرية، اقتصادية، ط 1، الجزائر، 1968، ص 55.

[2]– عمراوي حميدة، محاضرات في تاريخ الجزائر، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999، ص ص 184 -199.

بالإضافة إلى ذلك تمتد بالصحراء الوديان الكثيرة، ونادرا ما يشاهد جريان بعضها وذلك عقب سقوط أمطار غزيرة، ومن أهم هذه الأودية نجد وادي الساورة، وادي الناموس*، واد قير*، والدوارة* وهي تمتد على مسافات قليلة وتنتهي في الرواسب الفضية والرملية[1] .

إن الجنوب الغربي للصحراء يتميز بمجال حيوي وموقع استراتيجي هام وخطير، وهذا ما أدى بالاستعمار الفرنسي التوسع فيه، فعند ما تتخطى سلسلة الأطلس التلي، ندخل مجالا جغرافيا فسيحا يعرف بمنطقة الهضاب العليا أو السهول العليا[2]، التي تقع ما بين خطيعرض 32 و 20 شمالا وخطي طول 5 شرقًا و 1 غربًا من خط غرينتش على مساحة شاسعة ما بين 1000 و 11000متر، حيث تمتد هذه السهول ما بين سلسلتي الأطلس التلي شمالا والصحراوي جنوبًا وتفصل ما بين جبالها أودية تصب من الشمال نحو الجنوب باتجاه الصحراءالكبرى أهمها[3]:

1- جبال القصور: تمتد بين فقيق وجيرفيل، قليلة الارتفاع حصوية وكلسيه تسكن سهولها الضيقة المروية بعض القبائل التي تنشط في الزراعة والتجارة مثل الرزاينة، الأغواط كسل، و أولاد سيدي الشيخ و أولاد زياد الطرفي...الخ، وتضم جبل كمطر وهو من أهم جبال القصور يبلغ ارتفاعه 1950م ويمتد طوله حوالي 28كلم انطلاقا من وادي الصفراء وصولا إلى واد زويفي، جبل المير الذي يبلغ علوه 1850م، وهو سلسلة صعبة يبلغ طولها 12 كلم وعرضه 9 كلم،

---

* **وادي الناموس**: ينحدر واد الناموس من النعامة شمال جبال القصور، ويمر ليلقى واد الصفراء حاملا المياه المنحدرة في جبال القصور تخترقا سلسلة جبال الأطلس الصحراوي، ينظر: عبد الله حمادي الإدريسي، الاستبصار في تاريخ بشار وصحاري الجوار، ج1،ط1، 2013م، ص 34.

* **واد قير**: هو مجرى مائي مشترك بين الجنوب الشرقي المغربي، والجنوب الغربي الجزائري يمر بقرية العبادلة بولاية بشار ويلتقي بواد زورفانة بقرية أقلي أول قري بوادي الساورة بالجنوب الغربي الجزائري،ينظر: عبد الله حمادي الإدريسي، نفسه، ص 26.

* **الدوارة**: من الوديان المغربية التي تعبر من الجنوبالشرقي المغربي ، شرق تبلبالة و هو مجمع لوادي زيرو غريس من وديان تا فيلالت المغربية من بلاد الجنوب الشرقي، ينظر: عبد الله حمادي، نفسه ، ص 37.

[1]- إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء، المرجع السابق، ص 14.

[2]- إبراهيم مياسي، نفسه، ص 26.

[3]- أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائر، (1808-1847)،ج 1، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 26.

وينفصل عن جبل المزي بمضيق أو ثغرة فوناسة في اتجاه من الشمال الغربي إلى جنوبه ينتهي عند مضيق خنق تاشقونت بطريق الحجرات على مسافة 18 كلم[1].

-جبال العمور: أكثر ارتفاعا ورطوبة من القصور مما يجعلها تتوفر على مياه تنتشر بها الكثير من المروج وهذا ما انعكس على الطابع المعيشي لقبائل وجعلها تشتغل بزراعة الحبوب ورعي الماعز والغنم، أعلى نقطة فيهابوبرقةعلوها 1909م، يليها جبل أطويلة بانخفاض 10متر، شملت سلسلة العمور في عدة نقاط منها على الملح والجبس، حيث تنتشر على امتداد خط من الشمال إلى الجنوب بدءا من على بعد 15 كلم شمال أفلو قرب عين الجنب والثاني بجبل عقال بين أفلووالغيشه والأخير أهمهم يخنق الملاح[2].

إن المناخ السائد في هذا الإقليم ترك بصمتها على الغطاء النباتي، الذي يتميز بالطابع القاسي، ففي الصيف ترتفع درجة الحرارة إلى أكثر من 50° مئوية في الظل، كما تنخفض في فصل، وقد تصل في بعض المناطق مثل أدرار أو عين صالح إلى 45° مئوية، حيث تنخفض في فصل الشتاء إلى الدرجة الصفر، بهذا يكون المدى الحراري بها كبير جدا، وقد نجد أن منطقة الصحراء تتعرض لهبوب رياح جافة، وفي بعض الأحيان مثيرة لعواصف هوجاء من الرمال، التي تعرقل النشاط البشري بمختلف أنواعه، كما يتميز بتذبذب الأمطار، كما تنعدم في الأجزاء الوسطى من الصحراء لمدة سنوات، وعلى العموم التساقط في الجهة الجنوبية الغربية فنجده متباين بحيث يكون عاليا ويصل مقياسه سنويا إلى 400مم في بعض السلاسل الجبلية.[3]

أما الجهات الأقل علوا انخفض تساقط فيها حيث يصل أحيانا إلى 130مم بالأبيض سيدي الشيخ التي تكاد الثلوج تنعدم بها، كما أن الرطوبة تصل إلى 60%في حدود السابعة

---

[1]- بن قيطون حمزة، المشروع الاستيطاني الفرنسي بإقليم عين الصفراء العسكري (1882-1914) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، أحمد بن بلة، ط 1، 2014-2015م، ص ص 04،05.

[2]- حباش فاطمة، المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري 1844-1870م، مذكرة لنيل شهادةدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2013 – 2014م ص ص130-132.

[3]- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 20.

صباحا ومابين 30 و 35% في حدود منتصف النهار، و 40% مساء وكذلك الأمطار تتميز بتساقطها غير المنتظم، المتميز بالعنف مشكلا سيولا وأعاصير[1].

أما فصل الصيف في هذه المنطقة فيبدأ في وقت مبكر في النصف الثاني من فصل الربيع ويمتد حتى بدايات الخريف، متميز بالحرارة الشديدة التي يصل معدلها خلال أشهر جوان، جويلية، أوت ما بين 40° و 45°مئوية، تتباين من جهة إلى أخرى فتكون مرتفعة بالمناطق الأقل علوا والقريبة من الصحراء مثل الأبيض سدي الشيخ التي تصل إلى 43 درجة، فمنطقة الهضاب تتميز بمناخ قاس بارد شتاءا، حار صيفا كما تعرف بعض جهاتها جبلية، كجبال العمور نوعا ما من التساقط بكميات معتبرة من الأمطار[2].

لقد كان للظروف المناخية في الصحراء انعكاسًا مباشرًا على الحياة النباتية حيث نجد بالصحراء حوالي خمسمائة نوع من النباتات المقاومة للجفاف والحرارة المرتفعة فهي على العموم قصيرة وسميكة، وتنتشر بكثرة في الواحات أهمها أشجار النخيل المنتجة للتمور، الذي يعتبر الغذاء الأساسي للسكان، بالإضافة إلى بعض الأنواع الأخرى التي نجد منها الخضر والفواكه كالطماطم والعنب والرمان، كما تشتهر بها أنواع خاصة من النباتات كالحنة والتبغ، كما تنموا بها نباتات محلية، ومن أهمها : الحلفاء التي تكتسح مساحات شاسعة من السهول بنواحي الضاية[3] والشط أشرقي وعين الصفراء، إضافة إلى نباتات أخرى كالشيح، الديس، تنتشر كثيرا بمنطقة العمور في الجنوب الغربي من الصحراء[4].

بحكم قلة الغطاء النباتي فإنه قد سمح لنمو أنواع عديدة من الحيوانات من بينها نجد الغزلان التي تعيش في العروق مع ذئاب الرمال، والجرذان و بعض أفاعي والزواحف المتنوعة، والطيور ويشتهر بالصّحراء، أهم حيوان وهو الجمل الملقب "بسفينة الصحراء" لأن هذا الأخير

---

[1]- حباش فاطمة،المكاتب العربية ودورها في مد الاستعمار في الغرب الجزائري،المرجع السابق، ص 130.

[2]- أحمد توفيق مدني، كتاب الجزائر، ط4، المؤسسة الوطنية للكتاب، (دط)، الجزائر، 1984، ص 173.

[3] - الضاية: تبعد عن مدينة سيدي بلعباس ب 15 كلم، وهي البلديات المختلطة ، ينظر:فاطمة حباش سي الأعلى،بوبكر القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ من 1820-1896م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، وهران، 2004-2005، ص 57.

[4]- إبراهيم مياسي، التوسع الفرنسي في الجنوب العربي 1881-1912، منشورات المتحف الوطني للمجاهد،الجزائر،ص 21.

يستطيع التأقلم مع البيئة القاسية للصّحراء وتحمل عناء السير والعطش والجوع لأيام عديدة، ويتم استعماله لأغراض عديدة منها التنقل والمواصلات والسباق، وقد نجد بعض الرعاة في الصحراء يتولون تربية الأغنام والماعز مما يضطر بعض الرعاة إلى التنقل والترّحال.

كان الجانب البشري في الجنوب الغربي الجزائري، يتميز بضالة السكان رغم المساحة الشاسعة، وبذلك فهم ينتظمون داخل بيئة اجتماعية ذات طابع يدوي[1].

نظرا للظروف الطبيعية المتحكمة في حياتهم، وخاصة منها ندرة المياه، لأن وجود المياه بكميات كافية يسمح بممارسة الزراعة ثم الاستقرار، أما نقصان المياه فيعني البداوة والترّحال، لذلك يصنف السكان إلى نصفين هما البدو والحضر، فالحضر فهم يعيشون داخل القصور أو القرى، حيث تمثل القرية أو القصر الخلية الأساسية للتنظيم الاجتماعي وحتى السياسي، وهي مركز تجاري أو زراعي معًا، أما البدو *فهم الذين يقومون بعملية* العشابة،وهي الانتقال في بداية فصل الصيف إلى الشمال نحو الهضاب المرتفعة، ثم العودة إلى الصحراء في أواخر فصل الخريف، وهي هجرة موسمية تقوم بها جميع القبائل البدوية، والتي منها قبائل أولاد سعيد عتبةوالشعانبةوالتوارق، وكانت هذه القبائل تخيم معظمها تحت جدران ورقلة عند ترحالها، وتحفظ منتجاتها التي تحصل عليها من تبادلاتهم مع التل ووكانت تقيم في غابات النخيل مثلا: قبيلة سعيد عتبة[2]،كان مخيمها تحت أسوار بني وقين*.

والشعانبة تحت أسوار بني إبراهيم*، الذين كانوا يقيمون غرب مدينة غرداية ينتشرون بكل من غرداية، والمنيعة، كما توجد أعداد منهم بكل من وادي سوف، والساورة بناحية بشار

---

[1]- جراية محمد رشدي، المرجع السابق، ص 31.

[2]-سعيد**عتبة**: تضم هذه القبيلة فتناسه و أولاد يوسف، و لها إمكانيات أكثر منالقبائل الأخر و كان تنقلهم إلى ناقوسه شمالا و منها إلى وادي ميزاب، ينظر: مسعوددحيدي ، البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوسية (1842-1832م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر ، الجزائر ، 2009-2010م ، ص ص 67،68.

* **حي بني وقين**: يقطنون في الحي الغربي من مدينة ورقلة، وارتبطت بقبيلة سيدي عتبة، ينظر: مسعود دحيدي ، نفسه، ص 67.

***بني إبراهيم** : يقطنون في الحي الشرقي من منطقة ورقلة ، وارتبطت بقبيلة سيدي عتبة ،ينظر :مسعوددحيدي ، نفسه ، ص 67.

وإقليم توات وحتى بعين صالح ومالي، وكانوا توافدهم من الأبيض سيدي الشيخ إلى غرب الصحراء الجزائرية ، بعد توسع ثورة الشيخ بوعمامة إلى الجنوب الغربي[1].

وقبائل التو ارقهي قبائل صحراوية قديمة العهد بالمنطقة متوغلة في أقصى الجنوب الجزائري بكل من تمنراست ،وإليزي ،وجانت ولهم انتشار حتى في الصحراء الليبية ومالي، فضلا من العرب وقبائل الرقيبات*، وبني ميزاب[2]، وقد كانت هذه القبائل معروفة بنشاطها التجاري في الصحراء وبمعرفتها لمختلف الطرق الصحراوية الأمر الذي سيدفع الجيش الفرنسي إلى محاولة محاصرتهم والقضاء على تجارتها في الصحراء بغرض كسبها كعنصر مساندة له في أعماله وسياسته في المنطقة[3].

مهما كان أصل هؤلاء السكان فإنهم مرتبطون ومتمسكون بأرضهم ومتكيفون مع الظروف الطبيعية المختلفة كما نلاحظ عندهم صفات،وتصرفات متشابهة عموما، تتمثل في التواضع والبساطة والقناعة وطيبة النفس والطبيعة المرحة، وأغلبية السكان يتمتعون بصحة جيدة، ولا يتعرضون كثيرا الجراثيم التي تنعدم تقريبا بفضل تجمع الجفاف والضوء والحرارة الشديدة، وهي عوامل تساعد على القضاء عليها[4].

ومن القبائل التي استقرت بالجنوب الغربي قبيلة أولاد سيدي الشيخ الذين يقيمون بالمنطقة الواقعة بين فقيق كولومب بشار إلى غاية غرب الأغواط، ويعود أصل هذه الأسرة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه التي هاجرت إلى مصر ثم انتقلت إلى تونس مع مطلع القرن

---

[1]- ترومللي ، الفرنسيون في الصحراء يوميات حملة حدود الصحراء الجزائرية ، دار غرناطة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ص 44.

*__الرقيبات__ : هي قبيلة من عرب الصحراء الغربية المتنازع عليها اليوم بين المغرب وجبهة البوليزاريو و قد رجع بعضهم إلى نسبهم إلى الشرف المشيشي ، ينظر : عبد الله حمادي الإدريسي ، المرجع السابق ، ص 169.

[2]- __بني ميزاب__ : أغلبهم من قبائل نفوسة و فيهم الكثير من العرب الأحقاد و القليل من القبائل العربية الأخرى ، تشمل شبكة المدن الميزابية (غرداية . بني يزقن .وبنورة . و مليكه . و الفرارة) ، كان لهم حضارة و عمران في هذه المراكز و أغلبهم على المذهب الاباضي ، ينظر : أحمد توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، مج8 (د ط) ، دار عالم المعرفة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2010 م، ص ص 241،242.

[3]- حمو محمد عيسى ألنوري ، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديث، ج1، (دط)، (دت)، ص 271.

[4]- بوشارب عبد السلام،الهقار، أمجاد وإنجاد ، نشر المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995م، ص 13.

15مورحلت من تونس باتجاه الغرب الجزائري، وكان لها دور كبير في المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي خلال القرن 19 م، إذ هم منقسمون بين الجزائر والمغرب، ومن أجدادهم المعروفين الشيخ عبد القادر بن محمد المعروف ببوسماحةالمتوفى سنة 1614م، وقبل وفاته أسس زاوية في الأبيض وأصبحت معروفة باسم سيدي الشيخ، وقد ترك ثمانية عشر ولدا، واتسعت دائرتهم من البيض حتى شملت الجنوب الوهراني [1].

أما نسبهم الروحي فيعود للقادرية والشاذلية، حيث كان سيدي الشيخ أحد تلاميذ الشيخ أحمد بن يوسف لكن الذي أدخله إلى الطريقة هو محمد عبد الرحمن السهلي القادري الشاذلي، بالإضافة إلى أولاد نايل الذين هم من ذوي الأصول العربية الذين أقاموا بين بسكرة والجلفة، ثم الميزابيين ينحدر أغلبهم من قبيلة بني مصعب البربرية فرع الزناتة يستقرون بغرداية العطف بنورة وبني يزغن، مليكه، والقورازة، وهم من أتباع المذهب الاباضي.[2]

[1] – يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20 ، دار عالم المعرفة للنشر و التوزيع ، طبعة خاصة ، وزارة المجاهدين ، الجزائر ، 2009 م، ص 168.

[2] – مالك بحوص، ثورة أولاد سيدي الشيخ، دار الغرب للنشر والتوزيع، (دت)، ص 31.

المبحث الأول: الحملات العسكرية التأديبية:

1- الهجمات الفرنسية ضد الأمير عبد القادر

إن الهدف الحقيقي لفرنسا في ضرورة تحقيق الاحتلال الشامل للجزائر منذ السنوات الأولى استوجب السيطرة على كامل التل بدء بالهضاب ثم الصحراء، فقوة الأمير عبد القادر جعلت الفرنسيين من السياسيين والعسكريين يسعون إلى كل السبل لإقصائها ومد التوسع الاستعماري إلى منطقة القصور بالجنوب الغربي[1].

فطموح فرنسا في ذلك تأخر وضاعت أحلامها في كل ما خططت له، والفضل يعود إلى للمقاومة الوطنية العسكرية التي عرفها الشمال بمختلف المناطق سواء بالشرق بقيادة أحمد باي، أو غرباً بقيادة عبدالقادر[2]، مما جعل فرنسا تعيد حساباتها خاصة بعد الخسائر التي تعرضت لها، فتبين أن العمل العسكري لوحده في إطار حرب نظامية ضد الأمير عبد القادر دون جدوى لأن هذا الأخير كان يعتمد في نضاله على مجال جغرافي مفتوح [3]، من خلال الاعتماد في مقاومته على إتباع المواجهة المباشرة وحرب العصابات، كما أنه وسع دائرة نفوذه إلى أنحاء أخرى من الوطن ، شملت أجزاء كبيرة من إقليم تلمسان، ومليانة، والتيطري ومعظم التراب الوطني التي أقام بها العديد من القلاع والحصون لإنشاء دولته [4].

لقد فكر الفرنسيون بالتصدي للأمير و التوسع في مناطق جديدة وتحقيق الاحتلال الكامل، لذا بدأت الترتيبات بالتجنيد في الحكومة الفرنسية خاصة مع مجيء الجنرال Bugeaudلسنة 1841م الذي جند ما يزيد عن 85000 جندي، وهكذا سعى إلى إقصاء المقاومة الوطنية من

---

[1]- بيلسي، حوليات جزائرية ، تر: بن تركي نصيرة، الأصالة، الجزائر ، 2012م، ص 139.

[2]- حباش فاطمة، المرجع السابق، ص 17.

[3]- شارل أندري جوليان،تاريخ الجزائر المعاصر الغزو و بدايات الاستعمار 1827-1871، تر:جمال فاطمي، ط 1 ،دار الأمة، الجزائر،2008، ص 303.

[4]- إبراهيم مياسي، لمحات من الجهاد الشعب الجزائري،(د ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د ت) ص 35.

خلال إستراتيجية حربية تقضي بتدمير مواقعه المحصنة وإفلاس العشائر ماديا ومعنويا بالعقوبات وغيرها[1].

تم استهداف المدن الرئيسية لدولة الأمير عبد القادر،بشن حملة عسكرية عليها من مدينة مستغانم التي انطلقت في 18 ماي 1841م،لتتم انطلاق حملة أخرى في 27 ماي إلى معسكر، وفي طريقها عسكرت في مشرع الصفا، ثم وصولها يوم 30 ماي 1842م وأقاموا بها حامية عسكرية بقيادة الجنرال جيري Gery[2].

تواصلت الهجوميات على مدن الأمير عبد القادر غربا مع مطلع 1842م، منها تلمسان لقطع التموين على الأمير من المغرب الأقصى،فانطلق إليها بيجو Bugeaudمن وهران يوم 24جانفي 1842م، وتمكن من احتلالها في 1 فيفري1842م .

بالسيطرة على المراكز الإستراتيجية وإقامة حاميات عسكرية بها تحت قيادة ماريشاللامورسيير LAmoriciere و بيدو Bedeau و ارب وفيل Arbouville، انطلق هؤلاء في تنسيق لاستهداف أتباع الأمير من القبائل والعشائر[3]، غير أن لامورسيير LAmoriciere كان يلاحق الأمير عبد القادر الذي تكبد خسائر كبيرة، فقد تم أسر أكثر من ثلاثة آلاف شخص معظمهم من النساء وأولاد والشيوخ ونهب الحبوب والماشية والذهب، لقد كانت من أهم الحملات حملة 14 ديسمبر 1841م ضد قبائل بني شقران ومنها تم سحب الكثير من الغنائم وقتل حوالي 80 رجلا وسجن 200 رجلا، واعتمد فيها على الابتعاد عن المواجهة المباشرة والاكتفاء باحتلال المدن وتخريبها[4].

---

[1]- نصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود، اليابطين للإبداع الشعري، مكتبة الإسكندرية، 2000م،ص 203.

[2]- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004م، ص 248.

[3]- الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران وإسبانيا وفرنسا، تح: يحي بوعزيز، ج1 ، ط 1 ، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص ص 183-184.

[4]- شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص 336.

وهكذاأمر الجنرال لامورسيير Lamoricière علىمواصلةالحملة التوسعية بعد الحملات الأولى ورغم كل ذلك والمطاردات التي عرفها الأمير وسلبه كل حصونه إلا أنه استمر في النضال من خلال إعادة لم شمل القبائل ونفوذه عليها[1].

استمر لامورسيير Lamoricière في حملاته التأديبية ضد القبائل، حيث انطلق في حملة بأمر من الجنرال بيجو Buguaud يوم 15 ماي 1842م ،نحو مناطق تيارت ، حتى وصل إلى تاقدامت في 23 ماي 1842م ، وهكذا عندما كان لامورسيير Lamoricière متواجد بنواحي تاقدامت ، علم بتواجد الأمير بالقرب من معسكر في حملات هادفا من ورائها إعادة ولاء للقبائل الخاضعة الأمير عبد القادر ، الأمر الذي دفعه إلى العودة إلى معسكر في 02جوان 1842م ، لكنه لم يجد الأمير فانسحب جنوبا[2].

لقد اختار الأمير مدينة تاقدامت[3]، بسبب الظروف التي كان يمر بها، فاختارها كمدينة داخلية عوضا من مدنه السابقة التي وقعت في يد الفرنسيين، وخرج عنها أصحابها وأعلنوا ولائهم للسلطات الاستعمارية ولهذا اختارها لتكون عاصمة جديدةلدولته[4]،فكان الأمير على علاقة جيدة بسكانها وسبق له أن زارها قبل عقد الصلح مع دي ميشيال Des Michels فكانفي اختيار هذه المدينة تدعيم لسلطته على الجزائريين ومقاومة الفرنسيين .

كانت الحملات المتكررة على الأمير عبد القادر إلا أنه حاول التعايش مع ظروفه بتركيز عمله العسكري الذي انعكس سلبا على الوجود الفرنسي وتوطيده بين القبائل، وفشل الفرنسيون في إخضاع القبائل وهذا ما جعل الجيش يدخل في حالة إرهاق، إضافة إلى الإشراف المادي الذي

[1]– برونو أتين، عبد القادر الجزائري، تر: ميشيل خوري ، ط1،دار عطية للنشر و التوزيع، لبنان،1988م، ص 219.

[2]– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج 1،ط 2 ،دار الغرب الإسلامي، لبنان ، 2005م ، ص 259.

[3]–تاقدامت: اسم بربري معناه المدينة الجديدة الرومانية، التي تقع خرائبها على مسافة 09كم من تيارت، وهي أنقاض تيهرت عاصمة الدولة الرستمية التي سقطت سنة 296هـ /908م،ينظر: حسيني عائشة،تاقدمت عاصمة الأمير عبد القادر، المجلة الخلدونية، عدد خاص أكتوبر، جامعة ابن خلدون، 2009م، ص 239.

[4]– حسيني عائشة، نفسه، ص 239.

عرضته القبيلة الواحدة، رغم ذلك اهتم الأمير بأحوال بلاده رغم اشتغاله بالجهاد والقتال مع العدو على عدة جهات[1].

أعلنت عدة قبائل مجددا ومنهمقبيلة الأحرارالتيتعلن الهجوم وأجبرها لامورسيير Lamoricière على الأمان والتعهد بتزويد الجيش الفرنسي بالمؤن ودفع الضريبة، أما قبيلة الحسا سنةفلم تبد أية رغبة في إخضاع، وبقيت معتصمة بنواحي الشط وتصدت لعديد من القوات الفرنسية التي استهدفتها[2].

بعد الانتصارات التي حققها الجنرال بيجو Bugeaud ميدانياعلى دولة الأمير،شجعته على تصعيد عملياته العسكرية وتكثيفها عن طريق الدوائر المتنقلة وتجنيد المزيد من العملاء، وفي نفس الوقت تسليط أقصى العقوبات على القبائل[3] .

2-الحملات الاستطلاعية لقصور الجنوب الغربي:

إن الإستراتيجية التي تبناها الفرنسيون في إطار الاحتلال ضد مقاومة الأمير عبد القادر خربت مدنه بالتل وجعلتها مراكزها ثابتة، إضافة إلى سياسة الترهيب والاضطهاد ضد القبائل العربية، وهذا ما أدى إلى فرض الحصارمن طرف القوات الفرنسية على الأمير في كل الجهات بقيادة لامورسيير Lamocière، بيدو Bedeau، يوسف Yaucef، الاخوة مارسي Marcey، جيري Geryوهذا ما منعه من القيام بأي تحرك ثوري بالمناطق التلية، وإلزامه بالانسحاب جنوبا باتجاه القصور الصحراوية[4].

---

[1]- حباش فاطمة،المكاتب العربية ...، المرجع السابق ، ص 24.

[2]- برونو ا يتين، المرجع السابق، ص 225.

[3]- أديب حرب، المرجعالسابق، ج 2 ، ص 407.

[4]- لامورسيير : ولد بنانت الفرنسية في 15 فيفري 1830م و زاول دراسته بنانت ثم أنتقل إلى مدرسة ميالتطبيقية و تخرج بدرجة في الفيلق الثالث للهندسة في 31 جانفي 1829م ، عين وزير للحربية من 28 جوان 1848 إلى 20 ديسمبر، ثم قائد المقاطعة وهران إلى أن توفي 1865م ،ينظر : أديب حرب، المرجع السابق ، ص 361.

هناك بعض التحركات نحو منطقة القصور الجنوب الغربي، كنقطة إستراتيجية في الاتصال وعلاقات بالمغرب الأقصى الذي يعتبره قاعدة خلفية للمقاومة يتزود منه بالأسلحة والمؤن، زاد من تعقد الأمور لدى الفرنسيين من جانبين مع الأمير عبد القادرمن جهة، وإصراره على المواصلة رغم فقدانه الكثير، ومن جهة أخرى مع السلطان المغربي عبد الرحمن عندما رفض الانصياع لأوامر فرنسا في طرد الأمير من أراضيه أو اعتقاله وتقديمه إلى فرنسا .[1]

بدأت فرنسا بإقامة مراكز عسكرية بمنطقة لالة مغنية سنة 1844م، الأمر الذي ولد أزمة فعلية في العلاقات المغربية الفرنسية، وطالب السلطان من لامورسيير Lamocière إجلاء قواتهم من هناك، لكن الفرنسيين رفضوا وهددوا بدخول التراب المغربي لملاحقة الأمير وتم احتلال وجدة في 19 سبتمبر.

كان للأمير الولاء المطلق لدى سلطان المغرب الأقصى، و الأمر الذي جعل الفرنسيين يتوجهون نحو السواحل المغربية([2])، وشن حملات عليها بقيادةجوانفيل Goinivilleبدء بضرب ميناء وجدة في 06 أوت 1844م، ثم ميناء الصويرة كما كانت هناك مواجهات برية قرب وادي أيسلي بين الجيشين الفرنسي والجيش المغربي يوم 14أوت1844م، كانت نتيجتها هزيمة الجيش المغربي، وعقد صلح وفق معاهدة طنجة يوم 10سبتمبر1844م، نصت على أن الأمير عدو مشترك وخارج عن القانون وبعدها تعهد السلطان بعدم تقديم المساعدة للأمير وطرده من المغرب أو اعتقاله وتسليمه للفرنسيين، ومنه تم أبرام معاهدة لالة مغنية يوم 1845/03/18م بتسوية النزاع الفرنسي المغربي وذلك برسيم الحدود بين السلطتين ومعرفة نقاط نفوذهم[3].

[1]- حباش فاطمة، المكاتب العربية، المرجع السابق، ص 27.

[2] -أديب حرب، المرجع السابق، ج2، ص 460-462.

[3]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 262،

3-حملة جيري 1845 :

إن أول خطوة للتوغل في الجنوب الغربي تعود لتلك الحملة الاستطلاعية التي قادها العقيد جيري Geryحيث أنطلق من تيارت وتوغل نحو الجنوب عبر الشط الشرقي، ناشرا الرعب والنهب حتى وصل إلى البيض أين أقام مركزا عسكريا متقدما لأول مرة، عرف فيما بعد بجيرفيل ثم توغل نحو الجنوب عبر السهول حيث اعترضه فرسان أولاد سيدي الشيخ الغرابة واجبروه على التراجع[1].

أصبح هذا المركز جير فيل نقطة ارتكاز للتوسع الفرنسي في الجنوب الغربي استغلته الإدارة الاستعمارية في جمع المعلومات عن طبيعة التركيبة الاجتماعية والدينية والسياسية والتجارية بالمنطقة، فقرر الفرنسيون بضرورة توجيه حملات عسكرية استطلاعية إلى الواحات الصحراوية منها تلك التي وجهها قائد وهران لامورسيير Lamocière إلى قصور الجنوب الوهراني كلف بالتحضير لها قائد معسكر الكولونيل جيري Géry رفقة مارتنبيريMartinpreyالمسؤولعن مصلحة الطبوغرافية بوهران كدليل له في تحديد وتعيين الطرق والمسالك[2].

توجهت هذه الحملة من سعيدة يوم 18 أفريل 1846م، بقوة عسكرية تراوحت حسب بيلسيي Pelissier200جندي، تمكنت الحملة من قطع الشط الشرقي بدون مشاكل أو صعوبات، فلم يعترض طريقهم أي هجوم عدائي، وتمكنوا من الوصول إليه مع نهاية أفريل مما أرعب السكان،وأعلنوا الخضوع وقدتم إخضاع بعضالقبائل الأخرى منها أولاد مؤمن الدرارجةالطرافي، وصول الجنرال جيري Geryرحلته نحو الغاسول والإصرار على مواصلة المد نحو

[1]-بيليسي ، حوليات جزائرية، تر: بن تركي نصيرة، مج1، الأصالة، الجزائر، ص ص 125-127 .

[1]-HamzaBoubakeur, un soufi Algerien, Sidi Cheikh, Tome 1, Edition maison neuve et la rose, paris,1990, p147.

بريزيةابتداء من 30 أفريل بالرغم من قلة المؤنة وعدم كفايتها، وبعد مراكز التموين والأقرب مركز تيارت[1].

ومن أجل الوصول إلى بريزينة كان من الضروري عبور ممر غروبة الذي يعد من مناطق النفوذ أولاد سيدي الشيخ في المقابل حاول هذا الأخير احترام مكانتها الدينية، وعدم السعي إلى إخضاعها مثلما فعل مع بقية القبائل[2].

بعد إنجاز هذه الحملات التي امتد بها التوسع الفرنسي حتى بريزينة كأقصى نقطة استطاعوا الوصول إليها رغم الظروف المناخية الصعبة، من حرارة شديدة وندرة المياه إضافة إلى ولاء القبائل الأمير وعدوا نيتها ضد كل من يحاول تهديد نفوذها، عاد الجنرال جيري أدراجه شمالا متخذا نفس الطريق نحو فرندة، لكنه اصطدم مرة أخرى مع أولاد سيدي الشيخ وقتل منهم 50 فردا ، ارتبطت هذه النتيجة بالهدف الرئيسي الذي أرسلت لأجله الحملة والمتعلق بمقاومة الأمير بعد القادر ، فالجنرال جيري Geryضيق الخناق عليه ومنعه من التوجه شرقا[3].

فمطاردة الأمير سمحت للكولونيل جيري Gery أن يرفع العلم الفرنسي بمناطق نفوذ أولاد سيدي الشيخ والحميان، اللذان يعتبران من مؤيدي الأمير بالصحراء خاصة أولاد سيدي الشيخ، الذين ترجموا الولاء بالهجمات المتكررة على عناصر الحملة فهذا العمل فتح المجال للسلطات الاستعمارية في التفاوض، والتعامل مع سكان القصور، وعمل على إخضاعها وفرض سيطرتها عليها[4].

[1]- بن يوسف التلمساني، التوسع الفرنسي في الجزائر، 1830-1870، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعةالجزائر، 2004 -2005م، ص337.

[2]- سعيد بورنان، شخصيات بارزة، في كفاح الجزائر (1830-1962)، ط 2 ،ج2، ،دار الأمل، الجزائر، 2004م، ص 176.

[3]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 180.

[4]- بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص 332.

فبالرغم من أن الحملة ذات طابع عسكري إلا أن قائدتها ونتيجتها على المدى البعيد ارتبطت بالجانب العلمي، باتخاذها فينفس الوقت طابع الحملات الاستكشافية الجغرافية، فكانت قاعدتها مزدوجة عسكرية وعلمية خدمة الاستعمار يمده بالمعلومات التي جمعها عناصرها الباحثين عن القصور للقطاع الوهراني[1].

4- حملتي كافينياك 1847م:

إن علم الفرنسيين وعلى رأسهم القائد لامورسيير Lamocière بحالة الرعب والخطورة التي تشغلها الهضاب العليا، وقصور الجنوب في الجانب الجغرافي بخطورة تضاريسها ومناخها، أوفى جانبها الاجتماعي وحتى طابعها العسكري،حيث تعودت القبائل على استقلالها الذاتي الداخلي، والنشأة في نظام الإقطاعية، وبالطبع هذا صعب منمهمة اكتشاف وإخضاع المنطقة بشريا وجغرافيا، فالتوسع في المنطقة لم يكن من مجرد حملة واحدة، بل تلته عدة حملات مثلما حدث مع منطقة قصور الجنوبالغربي التيوجهت إليها حملة بقيادة كافينياك Cavignac[2].

فتواجهت هذه الحملة مع تواجد الأمير عبد القادر ضمن تحركاته الثورية بالجنوب، ومما دفع السلطات الاستعمارية إلى إرسالحملة عسكرية بقيادة قائد معسكر الجنرال رونو Renanlt الذي كانت انطلقت في أفريل 1847م نحو الجنوب الغربيعلى رأس قوة عسكرية تضم 100مقاتل فتمكنوا من الأمير ثم توجهوا إلى بوسمغون ثم الأبيض سيدي الشيخ ووصلوا إلى بريزنية[3]،صاحبت هذه حملة عمليات خضوع لأهم القبائل وعلى رأسها أولاد سيدي الشّيح الشراقةالذي استغلوا مرور كتيبة رونو Renault بين قريتي سي الحاج وعرباوة، فأعلنوا إخلاصهم

[1]- سعيد بورنان، المرجع السابق، ص 178.

[2]- محمد عيساوي، نبيل شريخي، الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري 1830-1871م، مؤسسة للنشر والتوزيع الحكمة، الجزائر، 2011م، ص ص 130-135.

[3]-محمد برشان، النشاط السياسي بملحقة بدايات العمل العسكري الثوري عين الصفراء (1912-1942م)، (د ط)، دار المعابر للنشر والتوزيع وزارة الثقافة، الجزائر، 2013م، ص 65.

لفرنسا،وقدموالرونوRenaultكعربون صداقةولاء ومبلغ 1400فرنك، كما جعلوا أحد أتباعهم تحت أمرهم ليكون دليلهم في الطريق[1].

لم تكن حملة الثانية الجنرال كافيناكcavignac*مغامرة رمي إلى الوصول أبعد من سابقية بل كان هدفهم التعرف الشامل على جميع الأشياء ذات الأهمية، ولم يكن دافعه الفضول بل حملته التوسعات ،ومستقبل المستعمرة و مقتضيات الحرب إلى الخوض في تلك الحملة، غادر طابور الحملة مدينة تلمسان في الفاتح نوفمبر1847م، وكانت مشكلة من الكتيبة الأول من فرقة للمشاة الكتيبة العاشرة للصيادين المشاة و الكتيبة الثانية للزواحف الكتيبة المدفعية مكونة من ستة مدفعين و كتيبة من المهندسين و العسكريين[2].

تحركت القافلة من الأراضي الزراعية نحو الصحراء وكانت مزركشة بألوانالأزياء الأوروبية و البرانس العربية مكونة من خيول وبغال والجمال، وكانت حملة كافيناكcavaignacبعد حملة رونوrenaultو بتحديد في 1أفريل 1847م باتجاه نفس المنطقة على اعتبار أنها لا تزال تشكل خطرا، فقبائلها لم تعلن الخضوع والولاء لفرنسا مثلما هو الحال لقبيلة حميان الغرابة التي كانت تهدد المصالح الفرنسية و الأمن بتحركاتها بالتل[3].

في الواقع أن الهدف الرئيسي من الحملات الاستطلاعية عموما هو فرض السلطة الفرنسية ،بإضافة إلى أهداف ثانوية تكمليه ،لجعلها تتخذ طابع العمليات العسكرية التوسعية ضد القبائل، و كذا طابعا علميا بالبحث عن الوثائق وجمعها حول الطبيعية الجغرافية للقصور و

---

[1]- يحي بوعزيز، اهتمامات الفرنسيون بجنوب الجزائر والصحراء، مجلة الثقافة، العدد 6، الجزائر، 1986م، ص 18.

* **كافينياك**: ولدفي سنة 1802م بفرنسا،جندفي الجزائربمقاطعةوهران سنة 1832م إلى أن بلغ رتبة الجنرال ، أصبح حاكما عام على الجزائرسنة 1848م،ثم نائباووزيرالدفاع،توفي بباريس سنة 1857 م،ينظر:فليكسي جاكو ،حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائر تر:حليمة بابوش،دار الرائد للكتاب ، الجزائر،2013م،ص ص 17-19.

[2]-فليكسي جاكو،حملةكافيناك،المصدر السابق ، صص20 -40.

[3]- محمد برشان، المرجع السابق، ص 38.

طبائعها الاجتماعية من عادات و تقاليد[1].حاول كافينياكcavaignac إعطاء حملته أهمية استعمارية تجارية علمية، فبعد تشكيل الفرق بشكل لجان علمية وجغرافية، التي رافقت الحملة والتي أصر فيهاكافينياكcavaignac على ضرورة تشكيلها بصفة دائمة في كل الحملات المستقبلية كانت تحت إمرةborelموزعة المهام حسب التخصص العلمي، فجغرافية القصور و الواحات أسندت إلى Nicolaمن الفرقة العاشرة من المشاة الجيولوجيا ضد مصادرة قوتهم و عيشهم بسلب و إفراغ مطامير الحبوب و الشعير و المواد الأخرى.[2]

تزايدت الممارسات التعسفية لتتعدى الجانب المادي إلى العنصر البشري للمنطقة، حيث تعرضوا للقتل بمختلف أعمارهم من أطفال وشيوخ ونساء دون تميز، انتهت هذه الممارسات بالسيطرة على القصور وسكانها، وإجبارهم على الاستسلام ولالتزام بدفعالضريبة [3].

لقد نجحت الحملة إلى حدنا ما في عملها العسكري بالسيطرة على أهم القصور ووقع سكانها تحت السيطرة و إلزامها بدفع الضرائب،في شكل مواد يستخدمونها في حياتهم اليومية الاقتصادية والاجتماعية، كما أن كافينياكCavaignakدعم حملته بقوات من مراكزالضاية على غرار مراكز تلمسان حيث ضمت أربع فرق من فرسانالصبايحية*، بقيادة ميشال miclel، انطلقت الحملة من التل باتجاه الصحراء مستهدفة قصور الجنوب الغربي ملاحقة ومطاردة لقبيلة حميان الغرابة وبذلك دمرت العديد من المناطق منها عسله، بتوت، مغرار التحتاني و الفوقاني، و عين الصفراء [4].

---

[1]–حباش فاطمة، المكاتب العربية، المرجع السابق، ص 34.

[2]–أديب حرب، المرجع السابق، ص ص 30–32.

***الصبايحية:**هما المتطوعين الجزائريين في الجيش المغربي ،تشمل مهمتهم في الجوسسة ومراقبة الأهالي والمشاركة في جمع الضرائب ،بلا رواتب شهرية ،وعرفوا بفرسان المخزن خلال العهد العثماني ،ينظر : حباش فاطمة ،سي الأعلى بن بكر ،القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ ، المرجع السابق ،ص39.

[3]– فليكسي جاكو، المصدر السابق، ص ص 135 -137.

[4]–محمد عيساوي ونبيل شريخي، المرجع السابق، ص ص 126–127.

5- حملة بليسي 1849:

بعد تواصل الهجومات في قصور وهران بعد حملة كافينياكCavaignacلانعدام الخضوع والانصياع منحميان الغرابة وأولاد سيدي الشيخ الغرابة، فأصبحوا يهددون الوجود الفرنسي بمنطقة الحدود الجزائرية المغربية، وفي إطار الالتباس الذي نجم عن معاهدة لالة مغنية، وما وقع لقبيلة أولاد سيدي الشيخ ذات النفوذ الديني القوي، والتي انقسمت إلى قسمين:فرع الشراقة: تحت إشراف السلطة الفرنسية بقيادة زعيمها سي حمزة بن بوبكر الذي أعلن الخضوع في 1846م، أما فرع الغرابة بقيادة الشيخ الطيب الذي حاول على إثر الاتصال بحاكم وهران الجنرال Darbouville يطلب توضيحا حول وضعية الغرابة مع السلطات الفرنسية[1].

أما السلطات الفرنسية بمقاطعة وهران ومناطقها كل من معسكر ووهران فكانت على علمبالتحركات العصيانية، التي يريد إثارتها أولاد سيدي الشيخ الغرابة بين قبائل البدو الرحل التابعة للسلطة الفرنسية، لهذا سارعت في اتخاذ التدابير السريعة منها إعطاء الأمر إلى قبيلة حميان الشراقة للتمركز بشمال الشط الغربي بضمان خضوعها،كما أنبعضفروعها رفضوا الانصياع منها الطرافيوالرزانية...إلخ، غير أنخط الرزانية لم يكن كافيا لإقصاء حركة الشيخ الطيب وإخضاع المساندين لها[2].

أعيدت الترتيبات من جديد بإدخال تعزيزات وتطبيق مبدأ التنسيق بين مناطق المقاطعة في التحضير العسكري، فكان انطلاق فرقتان الأولى من سعيدة بقيادة قائد مقاطعة وهران بليسييpelissier والثانية من سبدو بقيادة قائد منطقة تلمسان مكماهونMac Mahon الذي امتد حتى عين بن خليل، إضافة إلى قوة ثالثة توجهت من العريشة بقيادة Mellint،خلال أفريل 1849م ضد الشيخ الطيب وأتباعه من الحميان الغرابة [3].

---

[1]- حباشفاطمة، المكاتب العربية، المرجع السابق، ص 36.

[2]- شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، مج1،ص 641.

[3]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 166.

خلال هذه الحملة رافق الفرنسيون أعوان من الجزائريين منهم قدور بن المخفي، أغا البراجية من منطقة معسكر، عبد القادر بن داود أغا تيارت، الحاج المختار أغا بمعسكر، وخالد ابن الهاشمي، وخلال شهرين ونصف تمكن الفرنسيون من محاصرة الشيخ الطيب من خلال عمليات استهدفوا بها قصورالجنوب الغربي التي كانت مخازن للقبائل المنشقة، ومصدر تموينها بالحبوب، منها قصر تيوت الذي وصلت إليه فرقة عسكرية من النعامة يوم 07 أفريل، بعد ذلك تقدم بليسيpelissier إلى باقي القصور منها مغرار الفوقاني والتحتاني، ومن خلالها أفرغ مطامير عين سفيسيفة من المؤن التي وزعت على الجنود والصبايحية[1].

إن التنسيق المحكم بين الفرق العسكرية التي تجمعت من معسكر وسيدي بلعباس ووهران وتلمسان، كان لها أثر ايجابي على الفرنسيين بحيث تمكنوا من إضعاف وإرهاق حركة الشيخ الطيب وأتباعه، مما أدى بالبعض بالتخلي عنه، حيث كان انسحابهم إلى المغرب الأقصى فلم يكن الترحيب بهم من طرف سكانها الذين وجدوا تضييقا عليهم مما أدى بهم غلى الانسحاب إلى قصور فقيق عند أولاد سيدي الشيخ[2].

أما القوات الفرنسية وبعد انتهاء مهامها عادت أدراجها إلى الشمال نحو التل تاركة فرقتين للمراقبة بالخيثر والعريشة في ماي 1849م، كما توجهت طلبات للسلطات الفرنسية من السلطان المغربي مولاي عبد الرحمن، وتم تأديب الشيخ الطيب ومعاقبته، وتم اعتقاله عدة شهور بفاس، وأعلنت قبيلته بعد ذلك استسلامها للفرنسيين، وتم تعيين قدور ابن الطيب على رأسهم تحت إشراف منطقة معسكر، أما الحميانيين فقرروا إعادة خيامهم غلى مـــــوطنهم الأول والخضوع للسلطات الفـــرنسية.

[1]- بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص 51.

[2]- محمد برشان، المرجع سابق، ص 35.

المبحثالثاني: الاتصالاتالفرنسية وعقد العلاقات مع قبائل الجنوب:

توجت انتصارات الماريشال بيجو على القوات المغربية في موقعة إيسلي بالحدود المغربية،خلال صيف 1844م بمعاهدة طنجة يوم 10سبتمبر 1844م،والتي نصت في بندها الرابع على محاصرة الأمير عبد القادر بالحدود الجزائرية المغربية،من طرف القوات المغربية غربا ،والقوات الفرنسية شرقا،من أجل إنهاء الخلاف المغربي الفرنسي،ثم كانت معاهدة لالة مغنية المبرمة يوم 18 مارس 1845م والتي كان يرجي منها أن تكون الفاصل في النزاع الحاصل على الحدود، إذ بموجبها حددت الحدود الشمالية بين الجزائر والمغرب،وحددت معها مصير بعض القبائل ،منها أولاد سيدي الشيخ[1].

هذه القبيلة التي حافظت على استقلالها حتى العهد الاستعماري الفرنسي تشرف على الصحراء من الجنوب الغربي ورقلة وتديكلت، مناهضة لكل من يحاول المس بمكانتها، لهذا عندما تعاونت مع الأمير عبد القادر، كان من منطلق المساندة والدعم، دون الخضوع المباشر له، مثل باقي القبائل في إطار الأتباع أي التعاون والاحترام المتبادل بالمحافظة على خصوصيتها الدينية، بزعامة سي حمزة الذي خلف والده أبو بكر الصغير[2].

وجدت المخططات الفرنسية الاستعمارية صعوبة في التوغل بسبب نفوذ قبائل الجنوب على رأسها حميان وأولاد سيدي الشيخ، اللتان تسببتا في خسائر فادحة للفرنسيين منذ فترة الأربعينات اثر مقاومة الأمير مابين 1845-1847م، وتعداها مع الثورات اللاحقة، مما دل على أن قوتها والجانب العسكري غير كاف في اخضاعها وأصبح ضروري استعمال المناورة معها من أجل اخضاعها بواسطة التفاوض.[3] .

[1]- إبراهيم مياسي، احتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية،المرجع السابق، ص236.

[2]- يحي بوعزيز، أضواء على ثورة أولاد سيدي الشيخ، المرجع السابق، ص 33.

[3]- حباش فاطمة، المكاتب العربية، المرجع السابق، ص 145.

فبدأت محاولات الاتصال والتفاوض مع نهاية 1846م، ومطلع 1947م وتحديدا مع حملة الجنرال رنو Renault ، أين قدم إليه وفدان من أولاد سيدي الشيخ الشراقة والغرابة بقيادة جلول بن حمزة ابن سي حمزة، وسي محمد ابن سي الطيب مرفقين بحصانين و18000 فرنك كضريبة ورسم خضوع، ودليل على عربون التعارف مع الفرنسين ، وحاول هؤلاء تقديم صورة على مكانة ونفوذ العائلة خلال عهد العثمانيين، و الامتيازات التي كانوا يحضون بها، ويرفضون كل الاهانة، انتهى التفاوض بتعين قائد ين لكليهما، ولكن لم تنجح في كسب ولائهما وبقيت الاتصالات جارية[1]، الا أن الاتصال الفعلي كان مع نهاية 1849م ، وبداية 1850م، حيث أرسل وفدا من دائرة تيارت للتفاوض مع سي حمزة حول شروط الخضوع، وإنتهى بقبول التعامل مع السلطة الفرنسية مقابل عدم التدخل في الشؤون الداخلية ، للقبيلة واصدر الحاكم العام قرار تنصيبه خليفة في 23 أفريل 1850م مع شرط الحضور الشخصي لاستلام مراسيم التنصيب[2].

وهكذا فقبول سي حمزة التعامل مع الفرنسيين فتح لهم المجال بالجنوب الغربي والصحراء عامة ، بحيث منذ توليه المنصب ضمن للإدارة الاستعمارية السيطرة إلى غاية إنشاء مركز جيرفيل، وزمام الأمور كانت بيده وتدخل الفرنسيون كان من خلاله ليستمر الأمر معه بعد الدور البطولي الذي قام به في الحملة الاغواط، إلى جانب الجنرال بليسي Pélissier يوم 04 أفريل 1852م[3]، ثم حملة ورقلة مما أدى إلى التوسع نفوذه سياسيا بعد الولاء الديني إلى ورقلة، وأصبحت كل القبائل والقصور المنتشرة بالمنطقة تابعة له إداريا ، ومنظمة في شكل قيادات وأغويات منها ماهو خاضع مباشرة لسي حمزة، ومنها ما هو في شكل قيادة أو أغوية بتعيين رسمي فرنسي وتزكية من سي حمزة [4].

[1]- يحي بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 213.

[2]- حباش فاطمة، سي الاعلى بوبكر القائد العسكري لثورة اولاد سيدي الشيخ، المرجع السابق، ص 82.

[3]- ابراهيم المياسي، التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي، المرجع السابق، ص 220.

[4]- الجيلالي صاري، انتفاضة 1882-1883م، المرجع السابق، ص 115.

المبحثالثالث:ثورة أولاد سيدي الشّيخ(1864–1880):

إن تاريخ ثورة الجزائرحافل بالبطولات والمقاومات الشعبية ،التي تزعمها رجال بقت أسماؤهم خالدة فيالذاكرة التاريخية حاربوا الظلم والاستبداد والعبودية التي طغت على الشعب الجزائري منخلال الاحتلال الفرنسي، ومن هذه الثورات ً ثورة أولاد سيدي الشيخً1864 -1869م فكانتمن بين الثورات التي سجلت أحداثها بكامل الجنوب الجزائري وامتداد للثورات في باقي أنحاء الوطن .

1- أصل و نشأة أولاد سيدي الشّيخ :

تنتسب قبيلة أولاد سيدي الشيخ إلىجدهم سيدي الشيخ، الذي يعد من أبرز الشخصيات التاريخية والدينية في الجنوب الوهراني، خاصة القطرالجزائري عامة، اسمه عبد القادر بن محمد بن سليمان،ولد بقصر العرباوات الواقع ما بينالبيض والأبيض سيدي الشّيخ في حوالي 1533م وتوفي عام 1616م[1].

ينحدر أصل أولاد سيدي الشّيخ من أسرة الخليفة الأول أبو بكر الصّديق رضي الله عنه، التي سكنت مكة المكرمة ثم هاجرت لمصر،لتنتقل إلى تونسونظرًا لما تتمتع به هذه الأسرة من احترام ونفوذ ديني فإن بعض أفرادها تولوا مناصب هامة في الدّولة خلال القرن 14م[2]،رحلت هذه الأسرة بقيادة سيدي معمر الذي تزعم هذه القبيلة و قادها إلى بلاد بني عامر ،حيث استقروا في بادئ الأمر في منخفض وادي الفلتة، فشيدوا القصور منها الأربعاء التحتاني والأربعاء الفوقاني[3]، وأقاموا القباب على أضرحة أجدادهم كقبة سيدي معمر، واتجهوا غربا نحو واحات فقيق بقيادة سيدي سليمان حيث توفي هناك، و كان أبنه الأكبر سيدي

[1]–مالك بوحوص، المرجع السابق، ص 41.

[2]–إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، دار الهومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1999م، ص 211.

[3]– عبد القادر نايلي، المقاومات والانتفاضات الشعبية،،(د ط)،دارالهدي للنشر والتوزيع الجزائر، 2013م، ص 78.

محمد ولد سيدي سليمان قد نزل بالشلالة التي مكث بها حتى وفاته، و بذاك تكون شجرة نسب أولاد سيدي الشيخ من أبي بكر الصّديق حتى سيدي سليمان[1].

2- أسباب ثورة أولاد سيدي الشيخ:

رفض الشعب الجزائري للوجود الفرنسي وهذا يعد سبب الرئيسي والأول لكل الثورات، وقيام السلطات الفرنسية بفرض الضرائب باهظة لإرهاق سكان المنطقة، وسوء معاملة ضباط المكاتب العربية الذين عرفوا بالعنف والشراسة تجاه السكان الجنوب، وكذلك الاستهانة بمقدسات الشعب ورموزه الشخصية[2].

تعويض لقب الخليفة المتوارث بلقب الباشا أغا الأقل قيمة بعد وفاة حمزة بن بوبكر، و لكن السبب المباشر لاندلا ع الثورة هو اعتقال سيدي حمزة بن بوبكر خليفة الصحراء ، الذي اتهم بالتحضير سرًا للقيام الثورة وبانتفاضة ضدالمستعمر[3].

بإضافة إلى سبب أخر مهم وقوع حادث في يوم 29 جانفي 1864م حينما اجتمع عدد من أفراد عائلة أولاد سيدي الشيخ في ساحة البيض، و كان معهم سي الفضيل كاتب الباشا أغا سيدي سليمان،وأخذوا يلعبون لعبة الهف، هي لعبة مشهورة ومنتشرة في الجنوب تشبه الشطرنج انضم[4] إليهم عدد من الصبّايحية التابعين للمكتب العربي بالبيض[5]، فخلال اللعبة حدث شجار بين أحد الصبايحية وسيالفضيل تدخل الصبايحية و اقتادوهإلىمقر المكتب العربي بأمر من الملازم بوران Burinو عوقب الضرب بالعصا على الأقدام،فعلم سيدي سليمان

[1] -مالك بوحوص، المرجع السابق،ص 41.

[2] -إبراهيم مياسي، احتلال الفرنسي للصحراء، المرجع السابق، ص ص 210-211.

[3] -إبراهيم مياسي، ثورة أولاد سيدي الشيخ، مجلة الذاكرة، ع 03، متحف الوطني للمجاهد 1995م، ص 209.

[4] صالح فركوس ، تاريخ الجزائر ماقبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى) ، دار العلوم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2005، ص 68.

[5] -وزارة المجاهدين، في تاريخ ولاية البيض بين المقاومة الشعبية وأهم المعاركالكبرى لجيش التحرير، مديرية المجاهدين الجزائر، ص 28.

بالحادث فسارع إلى المكتب العربي وأطلق سراح كاتبه بعد أن توعد الضابط الفرنسي واعتبر سيدي سليمان الحادث إهانة له و لعائلته[1].

3-مراحل ثورة أولاد سيدي الشيخ :

لا بد من أن يكون لكل ثورة من الثورات مراحل تسير عليها وثورة أولاد سيدي الشيخ من بين هذه الثورات، والتي كانت لها مراحل تجلت في:

أ-المرحلة الأول: 1864م -1867م.

بعد إعلان سيدي سليمان الجهاد وموافقة شيوخ الزاوية وتكليف سي الفضيل بمهمة التعبئة والاتصال بالقبائل خاصة الشعانبة وقبائل الأغواط الكسل، و في يوم 8 أفريل 1864م اندلعت المقاومة بغارة على مخيم الجيش الفرنسي في هضبة عوينة بوبكر شرق البيض، كما انقض سيدي سليمان على العقيد بوبريطBeauprzterو قتله، كان لهذا الانتصار أثر حسن بين القبائل التي سارعت للانضمام إلى المقاومة بعد سقوط العديد من الضباط ونقيب المكتب العربي بتيارت و المترجم كايبيسو[2].

حيث وقعت معركة قارة سيدي الشيخ يوم 4 فيفري 1865م جرح خلالها سيدي محمد بن حمزة واستشهد يوم 22 فيفري من نفس السنة، خلفه أخاه سيدي أحمد و لصغر سنه تولي سي بوزيد تنظيم المقاومة طوال سنة 1865م،لكن شهدت سنة 1866م عدة اشتباكات ومعارك برز خلالها العقيددي كولومبDecolomb الذي حقق بعض الانتصارات نظرًا لخبرته و معرفته بالمعارك الصحراوية، ومن أهمها معركة الشلالة 1866م ، و معركة حاسي بن حطاب 1866م.[3]

[1]- إبراهيم مياسي، احتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص ص210-211.

[2]- يحي بوعزيز، أضواء على ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864-1881م، مجلة الثقافة، ع 51، الجزائر، 1979م، ص 31.

[3]- محمد على محمد الصلابى، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي،(دط)، دار المعرفة للنشر والتوزيع، لبنان ص 641.

ب- المرحلة الثانية 1867م -1881م :

لم تؤثرالهزائم في عزيمة أولاد سيدي الشّيخ على مواصلة المقاومة، بل أعتصم المجاهدون بالجنوب وحدود الجزائرية المغربية علىمعاودة القتال عن طريق الكر والفر، وشهدت هذه الفترة قحط في الجزائر وأزمات متتالية،كالمجاعة والأوبئة، مما أدي إلى هلاك العديد من الأهالي ورغم ذلك استمرت المقاومة، فبعد وفاة سيدي أحمد بن حمزة في شهر أكتوبر 1868م بتافيلالت، خلفه سيدي قدور بن حمزة الذي تمكن من توحيد صفوف أولاد سيدي الشّيخ وتنظيم المقاومة، و على غرار ماحدث في فرنسا سنة 1870م وهزيمتها أمام بروسيا، و سقوط النظام الإمبراطوري و قيام الجمهورية الفرنسية، ساعد على استمرار المقاومة [1]، حيث قاد أولاد سيدي الشيخ عدّة معارك من أهمها :

معركةقارةسيدي الشيخ1865مقاد لمعركة سيد محمد ضد الجنرال دوليني DELIGNY وجيشه المدعم من طرف المرتزقة و الخونة وبلغ عددهم 2880 قومي على رأسهم قدور الصحراوي، أولاد الأحرار أقترب الأعداء من مخيم سيدي محمد الذي أقام زمالته بين الوادي الغربيوواد الناموس، بالبنود جنوب الأبيض سيدي الشيخ ، فاتجه رفقة أحدى عشر فارسًا من فرسانه نحو الأعداء ظنا منهم أنه استسلم، لكنه فاجئهم باختراق صفوفهم شاهرا مناديا (الله أكبر الله أكبر)، و كرر الهجوم ثلاث مرات حتى أصيب بجروح بليغة والتحق بجيشه الذي كان يبعد عنه بحوالي 10 كلم، انتهت المعركة بخسائر في الأرواح من الطّرفين[2]، استشهد سيدي محمد بن حمزة في 22 فيفري 1865م و دفن في سيدي الحاج الدّين [3].

قادبعده سيدي أحمد بن حمزة الثورة و عمره ليتجاوز 14سنة كان سنده عمه سي لعلي بن بو بكر بن حمزة، انضمت تحت لواء قيادته عدّة قبائل من بينهاالقراريح ، الرزينة

[1] - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 68.

[2] - يحي بوعزيز، ثورات القرن، المرجع السابق، ص ص 168-182.

[3] - محفوظ قداش، الجزائر جزائريون، ص 144.

أولاد مومن، أولاد زياد، أولاد خالد، وفرق من أولاد شعيب وفرقة من الأحرار و أهل ستيتن بالإضافة إلى الشعانبة الذين جاءوا مع سي لعلي من ورقلة .[1]

امتدت ثورة سيدي أحمد بن حمزة في فيفري 1865م إلى أكتوبر 1868م خاض خلالها عدّة معارك من بينها الهجوم الذي شنوه 1868م على ثكنة الجيش الفرنسي بمدينة البيض، التي كانت تحت قيادة العقيد كولومب قتل في الهجوم 42 رجلاً من المستعمرين بينهم ضابط ، كماجرح 54 آخرينوقاد سيدي أحمد جيشه في المعركة حاسي بن خطاب[2] .

الثورة بقيادة سيدي قدور بن حمزة : قاد تزعم الثورة بعد وفاة أخيه سيدي أحمد سنة 1868م، و قد خاض عدّة معارك برفقة عمه سي لعلي في جبال العمور وفي نواحي فرندة و تيارتوعين ماضي والجلفة، وكانت من أشهرها معركة قارة الغشوة :درت أحداثها بين سيدي أعمر وستيتنجنوب شرق قرية في شهر فيفري 1869م كما وصفها شاعر الثورة محمد بلخير :

في قار نهار قارة الغشوة نهار كبي

كاملين ثلثضربات في عودي

ضرب ناطح لحد الدير

ثاقل بالجراح باليمنى يردي

ب:معركة ماقورة 17 أفريل 1871م كانت قرب سبدو قادها سيدي قدور بن حمزة هزم فيها عدّة قبائل خائنة و مرتزقة موالية لفرنسا بالإضافة إلى الفيلق من الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال ملويسMeloiseهزيمة نكراء، حيث توفي سيدي قدور بن حمزة ودفن في منطقة حاسي بوزيد سنة 1897م ودفن في قبة جده سيدي الشّيخ [3].

[1]– دريس خيضر، البحث في تاريخ الجزائر الحديث (1830–1962م)، ج 1، دار المغرب للنشر والتوزيع، الجزائر2000م، ص 258.

[2]– أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 179.

[3]–وزارة المجاهدين،مدخل في تاريخ ولاية البيض بين المقاومة،ص ص 29–30.

4- نتائج الثورة :

ترتب عن هذه الثورة عدّة حقائق و نتائج يمكن تلخيصها :

1- تبرهن هذهالثورة عنمدى تحضر الجزائريين ووعيهم من ضرورةتخلص من المستعمر وكشف حقيقة الفرنسيين الغاصبين في ادعاءاتها و أكاذيبها[1].

2-تعرضتالثورة في مسيرتها إلى مشاكل وصعوبات خاصة بينقيادة الثورة مماجعلها ضعيفة، استغلت فرنسا هدا الخلافلزرع سياسة فرق تسد بداخل صفوف الثورة لمعرفة خططها وقوتها وبالتالي مواجهتها[2].

3-واكبت هذه الثورة عدّة ثورات جزائرية منها ثورة المقراني 1871م والحداد في الشرق،وثورة الشريف بوشوشة في الصحراء غير أنّ الجهود لم تتضافر لتتوحد في ثورة واحدة مادام الهدف واحد والعدو واحد و الوطن واحد[3].

4- بالرغم من أن هذه الثورة لم تحقق أهدافها، فإنها قد كتبت صفحة خالدة في تاريخ المقاومة الوطنية، لأنها حلقة مضيئة من سلسلة بطولات الشعب الجزائري لهذا وجب لإقرار بالحقيقة التالية، إن الثورة كانت تصبوا إليه و هو رفض التوسع الفرنسي [4].

---

[1]-إبراهيم مهديد، القطاع الوهراني مابين 1850-1919م دراسة حول المجتمع الجزائر ي الثقافة و الهوية الوطنية(د ط)، دار أديب، الجزائر، (د س)، ص 226.

[2]-إبراهيم مياسي، القطاع الوهراني مابين 1850-1919دراسة حول المجتمع الجزائر الثقافة والهوية الوطنية،(دط)، دار أديب، (دس)، ص 226.

[3]-مالك بوحوص، المرجع السابق،ص 211

[4]- إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء، المرجع السابق،ص 44.

المبحث الأول: الدوافع السياسية:

مع انطلاق الحركة التوسعية الاستعمارية التي قادتها القوى العظمى فيأوربا بزعامة فرنسا وبريطانيا،للبحث عن مجال حيوي في القارة الإفريقية وأخذت المنافسة تشتد بين هاتين الدولتين،للسيطرة على أهم المناطق في العالم مستخدمة في ذلك أسلوبا علميا يخدم منظومتها الاستعمارية، والمتمثلة في البعثات الاستكشافية التي بدأتها بريطانيا أولا لتليها فرنسا فيما بعد خوفا من استفرادها بالمواقع الإستراتيجية في القارة السمراء خاصة في الصحراء الكبرى، وقد اشتد حماس الفرنسيين لهذه الكشوف بعد نجاحها باحتلال الجزائر،واعتبارها أرضا فرنسية بموجب المرسوم الملكي الصادر في 1834م[1].

وهكذا بسط استعمار الفرنسي نفوذه على المناطق الساحلية،أولا التوسع نحو المناطق التلية فيما ظلت منطقة الصحراء مجهول، لديه وصعبة المنال لفترة من زمن،ولأن حركة الكشوف تعد أولى مراحل التوسع الاستعماري فان الإدارة الفرنسية ،أخذت في إرسال البعثات الاستكشافية نحو الجنوب الجزائري، والتي كانت تهدف من ورائها لاكتشاف المظاهر الطبيعية والجغرافية الخاصة بالمنطقة ودراسة المجموعات السكانية،ومعرفة عاداتهم وتقاليدهم وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية وحضاراتهم،وجميع هذه البعثات كان هدفها التعرف على إمكانيات الاقتصادية والبشرية للصحراء ،واستغلالها فيما يخدم المصالح الفرنسية مستقبلا.[2]

وقد كانت الانطلاقة الأولى للاستكشافات الفرنسية في الصحراء الجزائر 1824-1828م،لتزداد هذه البعثات مع رحلة روني كايي Renécaillie،أكثرفأكثر خلال الربع الأخير من ق 19م،وعلى الرغم من تعرض الكثير من حملاتهم وبعثاتهم العسكرية إلىهجوميات من طرفسكان الصحراء،إلاأنها استمرت في إرسال المستكشفين إلى مختلف أصقاع الصحراء،لتحصل على المعلومات الدقيقة لاستكمال توسعها وسيطرتها عليها، ووضع حاميات عسكرية تؤمن لها المنطقة وتتصدى لمقاومةسكان[3]ونظرا لما قدمته هذه البعثات من دراسات طبوغرافيةومناخية

[1] – محمد عربي الزبير، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، ا لشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص08.

[2] –جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ص92.

[3] – جيلا لي صاري، ثورة (1881-1883م)، مجلة الأصالة، ع 87-88، الجزائر، 1980 ، ص ص107،108.

واجتماعية للمناطق التي تم الوصول إليها، فإن عملية التوسع نحو الجنوب عرفت تطورا كبيرا،خاصة بعد التعرف على مسالك الصحراء وطرقها التجارية،وعلى جميع خصائصها وسكانها معا، وهكذا جاءت المرحلة الثانية لتوسع الفرنسي من خلال شق الطرقات وفتح المعابر، ومد السلك الحديدية، وحتى أسلاك الهاتف وإنشاء مراكز عسكرية تؤمن تواجدهم في مختلف مناطق الصحراء، الأمر الذي أعطى دافعا قويا للمشاريع الاستعمارية فيها،والتي بدأتها فرنسا بفتح الطرق لتجارتها بهدف التغلغل إلى أعماق الجنوب، إضافة إلى الاستثمار في مختلف الزراعات الصحراوية التي تفتقر إليها فرنسا[1].

جاءاحتلال فرنسا للصحراء، كنتيجة حتمية لما قدمته للاستكشاف من كم هائل للمعلومات الهامة حول كل مايتعلق بالجنوب الجزائري،فالخيرات التي تزخر بها هذه المنطقة، بجميع أنواعها الباطنية والسطحية،وموقعها الإستراتيجي الذي يمثل حلقة وصل بين الشمال والجنوب،لجعل الاستعمار الفرنسي يبنيإستراتجية مستقبلية، تصبح الصحراء فيها الركيزة الأساسية ليستكمل تحقيق حلمه وهو تكوين إمبراطورية استعمارية،تبدأ من شمال إفريقيا وتمر بالصحراء الجزائرية لتصل إلى غرب القارة الإفريقية (السنغال)[2].

وفي الحقيقة فإن هذه الأسباب، لم تكن وحدهاجاءاحتلال فرنسا للصحراء، كنتيجة حتمية لما قدمته للاستكشاف من كم هائل للمعلومات الهامة حول كل ماي تعلق بالجنوب الجزائري،فالخيرات التي تزخر بها هذه المنطقة، بجميع أنواعها الباطنية والسطحية،وموقعها الإستراتيجي الذي يمثل حلقة وصل بين الشمال والجنوب،لجعل الاستعمار الفرنسي يبني[3]إستراتجية مستقبلية، تصبح الصحراء فيها الركيزة الأساسية ليستكمل تحقيق حلمه وهو تكوين إمبراطورية استعمارية،تبدأ من شمال إفريقيا وتمر بالصحراء الجزائرية لتصل إلى غرب القارة الإفريقية

[1] – جمال قنان، الأزمة الجزائرية الفرنسية عام 1827م وحدة التراب الوطني، مجلة التاريخ، عدد خاص، الذكر الثلاثون لأول نوفمبر1989، ص09.

[2] – إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 76.

[3] –إبراهيم مياسي، التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي، المرجع السابق، ص ص 60-65.

(السنغال،وفي الحقيقة فإن هذه الأسباب، لم تكن وحدها التي دفعتلاحتلال الصحراء فقد كانت وراء هذا التوسع باتجاه الجنوب عددا من الدوافع [1].

فقد كانت وراء هذا التوسع باتجاه الجنوب عددا من الدوافع.إن تقدم التقدم الفرنسي في الصحراء يرجع إلى التعزيز الوجود الاستعمار بالمنطقة،وكذلك لإبعاد خطر المنافسة البريطانية التي كانت تسعي للتوغل داخل الصحراء بهدف تكوين إمبراطورية استعمارية، في القارة الإفريقية،لذلك لجأت فرنسا إلى إبرام اتفاق فرنسي إنجليزي،في أوت 1890م، يقضيبجعل كل أراضي الجنوب الجزائري خاضعة للنفوذ الفرنسي [2].

كما أدركت فرنسا أن احتلالها للجنوب يضمن لها احتلال كامل البلاد، وذلك لأن الثورات الشعبية التي كانت تندلع في الجزائر فترة إلى أخرى،أصبحت تجد في الجنوب وواحاته معقلا يفر إليه مجاهديها ليحتموا فيه،ويستعيدوا الكرة والهجوم على قوات الاحتلال مرة أخرى، بعد أن يرتاحوا ويتزودوا بالمؤونة والسلاح عن طريق تلقي المساعدات من القبائل المجاورة،خاصة من المغرب الأقصى [3].

هذا ما أكده الرحالة الألماني جيرها رد رولف،مامدى المشاركة والدعم لأهل الجنوب للشمال عندما زار إقليم توات سنة 1864م،حيث قال بهذا الخصوص(قبل كل شيء على الفرنسيين أن يتلقوا حدودهم إلى نهاية وادي الساورة)،ومن هنا تبدأ كل المصاعب وكل الفوضى مادام الفرنسيون لم يستولوا على هذه الحدود الطبيعية، ولن يكون هناك أي هدوء دائم في جنوب مقاطعة وهران. [4]

ومن بين الدوافع التي جعلت فرنسا تسيطر على الصحراء هي إخمادها للثورات الشعبية،التي أخذت في مقاومة السياسية التوسعية للاستعمار،وعلى الرغم من تمكن الاستعمار من القضاء على هذه المقاومة، بتدمير كل الواحات،وإنذارهم إلا أن الثورات استمرت، وظهرت في العديد من

[1]- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 76.

[2]-جمال قنان، المرجع السابق، ص 93.

[3]-شاوش حباسي، من مظاهر الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830-1962، دار هومة، الجزائر،ص 10،11.

[4]-عمار عمور، الجزائر بوابة التاريخ الجزائر خاصة ما قبل التاريخ إلى 1962م، ج2، دار المعرفة، الجزائر، ص254.

مناطق الصحراء ومنهامقاومة محمد عبد الله الشريف في ورقلة سنة 1851م،التي تمكنت قوات الاحتلال من القبض عليه بعد عشر سنوات ونفيه إلى فرنسا ،لكنه عاد وشارك في عدة ثورات أخرى، إلى أن توفي بتونس سنة 1895م[1].

وقد عرفت مدينة الأغواط انتفاضة تزعمها ابن ناصر بن شهرة، والتي طال عمرها إلى أربع وعشرون سنة، (1851-1875م)،واتسعت رقعتها وتوحدت مع ثورة محمد عبد الله الشريف ،حتى بلغت الجنوب الغربي لتونس،كما دعم بن شهرة كل من ثورة أولاد سيدي الشيخ 1869م، وثورة المقراني 1871م، وهكذا اتسعت دائرة المقاومة الشعبية في الصحراء،إلا أن الإدارة الاستعمارية استطاعت تطويقها، والقضاء عليها في أقاليم الصحراء، وذلك لجمعها المعلومات حول خبايا الصحراء وتضاريسها،إضافة إلى استمالة بعض الجزائريين الذين تواطؤا معها في القضاء على المقاومة[2].

من ناحية أخرى قامت فرنسا بفرض حصارها على المغرب الأقصى من جهة الجنوب الغربي الجزائري، لتشرع بعدها في تحقيق الحلم الذي طالما روادها وهو السيطرة التامة على شمال إفريقيا،ومن دوافع احتلال فرنسا للصحراء هو سعيها لتفكيك المجتمع الجزائري، وتقسيمه عن طريق فصل الصحراء عن الشمال، وتكوين دولة مستقلة فيها تضم كل سكان الصحراء، ليتم بعد ذلك تفريغ الصحراء من سكانها، وذلك بتجميعهم في ناحية معينة حتى تسهل عملية السيطرة عليهم،والقضاء على أي مقاومة تظهر في المنطقة بشكل تام،وبعد ذلك يتم العمل على عزل الجنوب عن الشمال من أجل التوسع وبسط نفوذها [3].

يضاف لذلك اتخاذ الصحراء الجزائرية كقائدة سياسية وعسكرية تمارس منها فرنسا ضغوطاتها على جميع الثورات المندلعة ضدها،وجعلها كقاعدة عسكرية تحمي ظهرها وظهر أوروبا في حالة أي اعتداءأجنبي،لقد لخصت بعثة فلاموندFlamandالمرسلة إلى تيديكلت سنة 1899م ، في تقريرها

[1]-عمار حمداني، تعريب لحسن زغدارة، حقيقة غزو الجزائر، منشورات ثاله، الجزائر، 2007، ص85،86.

[2]-زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، 1985 م، ص 493.

[3]-مريوش أحمد، التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل السكان الهقار 1916م، مجلة مصادر، ع 11-، 2005ص 116.

الخاص مجمل الدوافع التي جعلت فرنسا تسعى للسيطرة على الصحراء الجزائرية وفي هذا قال فلاموندFlamandمن المهم ومن دون تأخير ربط واحة عين صالح بالجزائر العاصمة، إما عن طريق عين الصفراء،أوعن طريق ورقلة،وبعدهاإتمام الطريق الصحراوي وصولا إلى تنبكو،وهي الوسيلة العملية الوحيدة للاستعمار، وأيضا لكي تكون هذه المنطقة ملجأ دائما إثارة المشاكل[1].

المبحث الثاني: الدوافع الاقتصادية:

-لقد كانت السياسة التوسعية الفرنسية في الجنوب الغربي الجزائري نقمة وكارثة على الاقتصاد الجزائري خاصة وذلك لعدةأسباب:

استغلال فرنسا للطرق التجارية الصحراوية للسيطرة على خيرات إفريقيا من جهة واستغلال الصحراء كسوق استهلاكية لمنتجات أوروبا من جهة أخرى،فاحتلال الجنوب الجزائري ستتمكن السلطات الفرنسية من فتح مجالات واسعة وإيجاد طرق جديدة للتجارة، في هذه الفترة يمكن اعتبار أهم مركز للبحث عن الأسواق التجارية الرابطة بين الصحراء والشمال الإفريقي من جهة، والصحراء الجزائرية وإفريقيا السوداء من جهة ثانية [2].

استنزاف الثروات الباطنية، وذلك من خلال إستراتيجية المستعمر في البحث والتنقيب عن المياه،عن طريق حفر الآبار في العديد من المناطق الصحراوية،وعلى رأسها منطقة واد ريغ والزيبان[3].

القضاء على تجارة القوافل،التي كانت قائمة بالمنطقة من خلال إنشاء طرق جديدة ،وتغيير طرق نقل البضائع،التي أصبحت تتم عن طريق العربات والشاحنات وهذا ما أدى إلى ضعف التبادل التجاري بين الشمال والجنوب[4].

---

[1]-إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص ص 82-85.

[2] -إبراهيم مياسي، التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي، المرجع السابق، 87.

[3]- بن دارة محمد، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1952-1962م)، مذكرة لنيل شهادةالماجستير في تاريخ الثورة،جامعة الجزائر، 1998 -1999 م، ص 20.

[4]-شهرزاد شلبي، الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية، مجلة كان التاريخية، ع11، مارس، 2011م، ص 84.

تراجع التجارة القبائل منتشر في الواحات الصحراوية عمليات النهب والسلب وإرهاق السكان بالضرائب والغرامات، بالإضافة إلى سنوات القحط والجفاف،كل هذا اثر على النشاط الاقتصادي في الجنوب، مما انعكس سلبا على التبادل التجاري ، وهنا تجدر الإشارة بعد كل ما ذكرنا إن الأهمية الحيوية للصحراء الجزائرية والإفريقية،عقب التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري قد تراجعت[1].

كما أن السيطرة على الجزائر ستؤدي حتما إلى فتح مجالات واسعة، وإيجاد طرق جديدة للتجارة الفرنسية وخاصة في الجنوب البلاد الشاسع،حيث أبرمت في هذا الميدان معاهدة غدامس بين الفرنسيين وزعيم التو ارق الشيخ سنة 1862م ،ومنه سارعت فرنسا إلى ترويض زعماء هذه المناطق،باستدعائهم إلى الجزائر العاصمة والى باريس،وربط معهم صداقة لذلك قبل رؤساء التو ارق إبرام المعاهدة في 26 نوفمبر1862م بغدامس، مع البعثة الفرنسية التي توجهت إلى هناك ومن أهم وفودها إلى منطقة غدامس هي :

-ميرشارmircher قائد سرية الأركان..

-بولينياكpolignac،نقيب الأركان،منتدب بالمكتب السياسي للشؤون الاقتصادية.

-دي فاتون de vatonne،مهندس .

-هوفمان Hoffman،طبيب.

-إسماعيل بوضربة.مترجم[2].

[1]- بوهملةتواتي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1834م، دار المعرفة، ط 1، الجزائر2012 م، ص 23.

***التوارق** : هو مصطلح يطلق على القبائل البربر للصحراء الكبرى، سموا بذالك لأنهم تركوا طريقة الهدية، او الطوارق نسبة الى طرقهم في الصحراء وتوغلهم فيها، ومنهم من نسبهم إلى طارق بن زياد وهم يسكنون في بلاد الهقار، ينظر: محمد سعد قشاط، عرب الصحراء الكبرى التوارق، ط 4، دار العربية الموسوعات، لبنان 2008 م ، ص84.

[2]-أندري برينيان وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: رابح اسطنبولي وآخرون، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984م، ص385.

وفي 24 نوفمبر اجتمعت البعثة في غدامس،مع الوفد الذي يتكون من الحاج جابور رئيس قبيلة،أمانفاراتن، والشيخ عثمان زعيم التوارقالديني،وعمار الحاج أخ ايخنوخن ونائبا عنه، وبعد المحادثات وقعة المعاهدة ومن أهم ما جاء في اتفاقية مايلي :

1-إقرار الصداقة والتبادل بين السلطات الفرنسية، ورؤساء مختلف فروع قبائل التوارقيمكن أن يمارسوا العمل التجاري في أسواق الجزائر، دون أي قيد أو شرط، ماعدا أداء المكوس العادية[1].

2- يلتزم التوارق بتسهيل وحماية عبور المفاوضين الفرنسية لبلادهم ذهابا وإيابا إلى بلاد السودان،وحمايةبضائعهم التجارية على أن يدفعوا المكوس العادية، تلتزم السلطات الفرنسيةوزعماءالتوارق بفتح طرق التجارة للفرنسية إلىالسودان وإصلاحهاوتحديدها،وتحديد المكوس وضبطها،وإصلاح الآبار،وإزالة كل العراقيل،في وجه نشاط التجار الفرنسيين.

ومن خلال هذه المعاهدة تم التوصل إلى نتيجة لهذه الاتفاقية، وهي توسيع عمليات التبادل التجاري بين فرنسا والجنوب الصحراء، والصحراء الإفريقية الاستثمار،واستغلال هذه المناطق البكر للحصول على المنتجات التي تفتقر إليها فرنسا خاصة[2]، ولقد كانت للبعثات الاستكشافية دور في الكشف عن الثروات المعدنية الضخمة التي تزخر بها الصحراء خاصة وأن هذه الكميات الهائلة من المعادن المتنوعة تحتاجها فرنسا لخدمة اقتصادها وازدها، وفي الوقت الذي كان فيه الفرنسيون جادين في الغزو والتوسع إلى جنوب الجزائر والصحراء،وأولوا اهتمامهم بموضوع المواصلات ،التي تمثل العنصر الأساسي والفعال،وكان هدفهم من ذلك:

1-تسهيل عمليات تنقل قواتهم العسكرية الغازية،وتذليل ظروف استقرارها في المراكز العسكرية المختلفة التي أنشأها أثناء عمليات،أو التي سينشئونها مستقبلا، في الواحات والمناطق الإستراتجية، بط مستعمراتهم المختلفة ببعضها البعض في الشمال والغرب والوسط، و خدمة التجارة الفرنسية وفتح الأبواب والسبل لها في كل أسواق إفريقيا[3].

[1]-ابراهيم مياسي، المرجع السابق، ص84.

[2]-الجيلالي صاري، المرجع السابق، ص 109.

[3]-عدة بن داهية، الاستيطان والصراع حو ملكية الأرض ابان الاحتلال الفرنسي في الجزائر، ج2، دار الحكمةطبعة خاصة، الجزائر، 2008م، ص 229.

لتحقيق هذه الأهداف عملت فرنسا على انجاز شبكة للمواصلات من أبرزها السكك الحديدية والبريد وأسلاك الهاتف،وذالك بمد سكك حديد تربط بين الجزائر العاصمة والمدن الصحراوية، مرورا بورقلة، وعين صالح وغيرها ثم انتقال إلى انجاز طرق حديدية، أخرى تكون عابرة للصحراء،وصاحب هذا المشروع هو المهندس" دي دو نبشال" الذي قدم الدراسات الأولى منذ 1874م،إذ سمح هذا المشروع لفرنسا بالتوغل داخل الأوطان السودانية والاستحواذ على تجارتها[1].

كانت تعتبر الثروات المهمة في الصحراء الجزائرية،التي عولت عليها فرنسا في مشاريعها الاقتصادية منذ البداية، وقد تم التركيز عليها في المنطقة الغربية للصحراء (الساورة)،حيث توفر مجموعة من الثورات جد مهمة،وكانت تعتبر الحلفاء من المواد الأولية في التجارة الصحراوية .

ذلك أن منطقة قورارة تكمن فيها أنواع هامة في الفحم الحجري،وقد تعرف عليها واكتشافها الأستاذ"Falamand"، كما أشار الباحث رولانG.rollandإلىأن المنطقة الشرقية من هضبة تادميت،وحوض واد أرارة، يحتوي على مركبات من الكبريت،وهو يستعمل من طرف السكان لمداواة جلود الجمل المريضة، كما يستعمل في الواحات توات لصناعة البارود، أما الذهب فتشتهر به المنطقة منذ القديم[2].

يتبين أن المنطقة توات تحتوي على كميات كبير من معدن الحديد، وهكذا من خلال ما اكتشفه المستكشفون والمغامرون، ومنهم "سولييه" الذي تجول في هضبة تادميت وتعرف على حجارة حمراء، فتحتوي على معدن الحديد في حمادة تسمى حمادة الشعاب، كما لاحظ فورو "F.foureau" ،عند اجتياز للمنطقة التواتية عدة أحجار حمراء،من أصل معدن الحديد لذلك فالمنطقة تتمتع بكميات وفيرة من الحديد ،لكنه غير مستثمر،كما يتوقع وجود أكسيد المنغنيزيوم،في حمادة المناطق الجنوبية الغربية من الجزائر،وكذلك في بعض الأماكن من هضبة تادميت،ويحتمل أيضا وجود معادن أخرى بالصحراء كالنحاس والرصاص والزنك ،أما الأنيتموان

[1] – شارل روبير اجرون، الجزائريون المسلمون في فرنسا، 1871-1919 م، ترجمة حاج مسعود، ج2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007م، ص 419.

[2] – دحمان تواتي وآخرون، الثورة التحريرية في إقليم توات (1956-1962م)، وزارة الثقافة للنشر و التوزيع، 2008م ص ص 8،9.

فهو موجود منذ القديم ويستعمل السكان كمادة لتزيين العين الكحل[1].وهكذا يتبين أن السلطات الفرنسية قد أدركت منذ ترسيخ احتلالها للجزائر أن الجنوب الجنوب الغربي الجزائري يعد حجر الزاوية لاستعمارها،نظرا لما يتمتع به من موقع استراتجي هام ،يجعلها تتحكم في الجزائر، وتقضي على المقاومات الشعبية ويمكنها من السيطرة على المغرب الأقصى وغرب إفريقيا،وربط هذه المستعمرات بعضها البعض، فضلا عن كونه يزخر بخيرات زراعية ومعدنية، من شأنها أن تخدم لاقتصاد الفرنسي مستقبلا ،لذلك كرست كل جهودها لاحتلال هذه المنطقة[2].

المبحث الثالث: الدوافعالدينية:

إن مشروع التنصير أهم المشاريع التي اهتم بها المتنصرين والإدارة الاستعمارية في الجزائر ، على حد سواء،فقد تعاونت الكنيسة مع سلطة الاحتلال في تحقيق المطامع التوسعية في الجزائر ، وبفضل رجال الدين توسع الاحتلال الفرنسي ليس في المناطق الشمالية فحسب بل وسع نفوذ إلى غاية الصحراء الجزائر .

لم يقتصر نشاط التنصير على القسم الشمالي والمدن الداخلية للجزائر، بل امتد إلى المناطق الصحراوية،حيث شمل مدينة البيض و الأغواط وبسكرة القليعة (المنيعة) وامتد إلى بني عباس، والى تمنراست والهقار، وبداية النشاط لتنصيري في الإقليم الصحراوي،كانت مع جمعية الآباء البيض التي أسسها الكاردينال لافيجري[3] سنة 1869م ، هذا الأخير الذي كانت طموحاته التنصيرية متجهة إلى أوساط إفريقيا، واستقرار الآباء البيض بالإقليم الصحراوي ، كانت ابتداء من منطقة الأغواط .

[1]-بن علي بوبكر، الثورية التحريرية في منطقة الساورة(1954-1962م)، مذكرة ماجستير في تاريخ الثورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،المركز الجامعي بشار، 2005-2006م، ص 90.

[2]-إبراهيم مياسي، التوسع الفرنسي الجنوب الغربي، المرجع السابق، ص 85.

[3]-سعيدي مزيان نشاط التنصيري للكاردينال لا فيجيري1862-1892م، ط1،دار النشر و الطباعة، لجزائر، 2009، ص 299.

حيث عوضوا الإخوان اليسوعيين الذين غادروا المنطقة سنة 1872م[1] في البداية كانت خدمتهم موجهة إلى الأوربيين المتواجدين المنطقة، إلى جانب جود الحاميات العسكرية، أين كانت تقدم لهم الخدمة الدينية والاجتماعية ، لكن فيما بعد شيدت قاعات خاصة لتعليم الخياطة والطرز ، إلى جانب قاعات أخرى لتقديم الخدمات الطبية والمساعدات الخيرية ، لكن لم يقتصر نشاط هؤلاء بهذه المنطقة فقط بل امتد إلى مناطق أخرى ، تم تأسيس مراكز في الأشهر التي تلت 1872م ، منها مركز في كل منتوقرت و ورقلة ، البيض "جرفيل" متليلي[2].

كان طموح الآباء البيض في التنصير إلى المناطق الصحراوية وصولا السودان، وهو ما يكشف عند لافيجري*، في قوله "في هذه الساعة يوجد ثلاثة من المبشرين من رجال من في بلاد التوراق، وعما قريب سوف يدخلون إلى "تنبكتو" في عزم وتصميم يستقروا في عاصمة السودان، آو يلقوا حيفهم حبا في الحقيقة "ويتعلق الأمر بالآباء الذين أرسلهم سنة 1876م وهم:بولميPaulmier، بوشاردPauchard ، مينوريinoretMغيرأنهؤلاء لم يحققوا حيثأهدفهم حيث تعرضوا للقتل من طرف التوارق[3].

كما تعرض آخرون إلى نفس المصير سنة 1881 م، بالقرب من "غدامس" وهم ريشادRichard، موراMorat ،بولاردPoupard، هذا الوضع أدى بالسلطات الفرنسية إلى وضع حاميات عسكرية لتامين الطرق الصحراوية، خاصة المركز العسكري بالمنيعة الذي أسس سنة 1892م ، وبذلك استطاع الآباء البيض التوغل إلى السودان سنة 1895م ، كما سمح لهم الدعم العسكري تأسيس مراكز آخري بالمناطق الصحراوية كالبيض وعين الصفراء في السنوات ما بين 1899- 1902م.

[1]-خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871م، منشورات حلب، الجزائر، 2007، ص13.

[2]-سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص15.

[3]- محمد أمين بلغيث، السياسة التوسع في جنوب الفرنسي، مجلة الذاكرة، ع 3، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية والثورة أول نوفمبر، ص 139،140.

***لافيجري**: ولد في مدينة بايون1825، وصل الجزائر أثناء المجاعة التي حلة بها فاستغل هذا الظرف لتنصير الجزائريون مابين 1868-1892م، وعرفت فترة حكمه قمة التنصير في الجزائر وحتى إفريقيا توفي 26 نوفمبر 1892م، ينظر: أبو قاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي،ج6،دار الغرب الإسلامي،لبنان، 1998م،ص115.

لكن هذه الهياكل التنصيرية في الصحراء اصطدمت بجذور القيم الإسلامية لدى سكانها ، حيث تعرض إلى القتل ، لكن هذا العائق لم يمنع من إعادة مشروع التنصير من طرف الأب شارل "دوفوكو"[1].

– نشاط التنصير من طرف الأب شارل دوفوكو 1905:

كانت أول زيارة الأب شارل "دوفوكو" إلى الجزائر سنة 1880م، ضمن فرقة عسكرية للخيالة أرسلتها مدرسة سومر" Sommur، حيث مكث عدة أسابيع في مدينة و سطيف ، ثم رجع مرة ثانية سنة 1883م، حيث كانت الجزائر نقطة انطلاق وعودة في رحلته إلى المغرب الأقصى، وفي سنة 1885م، عاد إلى الجزائر للمرة الثالثة،ومكث فيها عدة أسابيع ، زار خلالها مدن عدة منها الأغواط،وهران غرداية و تقرت، ثم زار مدينة قابس بتونس،وعاد منها إلى فرنسا بتاريخ 23جانفي 1886م.[2]

نتيجة العلاقة المتميزة بين شارل" دوفوكو" والمسؤوليين العسكريين الفرنسيين في الصحراء الجزائرية، خاصة هنري لابيرين"LA berimehe" الذي عين قائدا على منطقة واحات الصحراء الجزائرية، هذا الأخير الذي سمح له بالقيام برحلة بالمناطق الصحراوية دامت 08 أشهر، منها ثلاثة أشهر قضاها عند قبائل الطوارق بمدينة عين صالح،حيث سجل خلال هذه الرحلة عدة معلومات عن الأهالي من اللهجات والعادات والتقاليد إلى كل المسالك المؤدية إلى القبائل المختلفة[3].

ولم يتوقف تنقله عند هذا الحد، بل قام زيارة أخرى إلى مدينة غرداية بين سنتي 1904-1905م،وأجرى اتصالات مع الإباء البيض المقيمين بهذه المدينة وتباحث معهم في قضية تنصير سكان الصحراء، واستمر في تنقله بين الساورة إلى بني عباس بعد أن زار كل من أدرار تيميمون....الخ .

[1]– أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج6،المرجع السابق،ص 130.

[2]–عميراوي حميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء، ص 124.

[3]–مسعود عودي، أضواء على التنصير والمنصيرون في الجزائر 180-1892م، مجلة الدراسات التاريخية، ع 15و16 ،الجزائر، 2013 ، ص 323-335.

وبعد اتصالات أجرها مع صديقه في جوان 1905م، قرر السفر إلى تمنراست برفقة خادمه بول poul، والقائد العسكري دينوكسdimaux بالإضافة إلى بعض الجنود الفرنسيين ، حيث وصل إلى مدينة تمنراست، في أوت 1905م وبعد وصوله قام ببناء دير، لتقديم الخدمات الدينية والاجتماعية "الطب" المساعدات الخيرية[1] .....الخ ، ولم يقتصر نشاطه في هذا المجال فقط ، بل وظف مجالات أخرى ، بهدف تقريب السكان من مجال التعليم ، حيث قدم للأهالي بعض النشاطات اليدوية كالخياطة والنسيج والبناء والفلاحة وغيرها من النشاطات الأخرى ....الخ.

هذا النشاط كان يرى فيه وسيلة من وسائل التقرب من سكان القرى الصحراوية ، وهو أساس النجاح مشروع التنصير كما رأى أن التحكم في المناطق الصحراوية يتوقف على نشاط المنصريين أولا ، ثم يعقبه الوجود العسكري ، الوسيلة الأخرى التي تسمح للوصول إلى هذا الهدف هو التأثير في الأطفال بكل الوسائل والطرق ، وهو ما لخصه في قوله :"ولكنه يمكننا بواسطة الأطفال أن ندخل نفوس الآباء ونهدئ من روعهم، وأنا قمت بتجربة هذه الطريقة عدة مرات أنها الفرصة التقريب المتمردين منا ، وفرصة للدخول في اتصال مع المتطرفين الذين يبغضوننا هؤلاء في العادة يمتازون بقوة الشخصية[2] ، انه لمن الصعب على رئيس سياسي أو ضابط أن يخطو الخطوة الأولى نحو الأهالي الساخطين، والذين يلازمون موقف العزلة، ولا يبدون سوى مظاهر اللياقة، وعلى العكس من ذلك فانه لمن المسلي ومما ليحط من قدرنا أن تحاول بث الثقة في نفوس أطفال القبيلة وينحازوا معهم الولاء لأفكارهم.[3]

وما يكشف عن المهمة السرية التي أوكلت إلى الأب دوفوكو، الرسالة التي بعثت بها إلى الرائد لابيريني "laperine،" إلى الرقيب روينو"regmanlt "، بتاريخ 19 فيفري 1904م ، يذكر فيها بعض الأعمال التي كانت الأب دوفوكو يقوم بها، ومن بينها انه قام بالاطلاع على كل الأرشيفات العسكرية بدقة وعمق[4]، لأنه ما يوجد بهذه الأرشيفات تتضمن معلومات هامة حول طبيعة الأرض والسكان الذي سيتعامل معهم،حيث سيقوم بتهدئتهم حتى ليثوروا ضد

[1] -الأشرف مصطفي، المرجع السابق، ص 13

[2] - إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1988م، ص65.

[3] -إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر، 1830 -1962م، دط، دار هومة، الجزائر، 2007م، ص10.

[4] - يحي بوعزيز، اهتمامات الفرنسيون بالطوارق ومنطقة القهار، مجلة الأصالة، ع72، أوت 1979م، ص62.

الزحف العسكري الفرنسي، والمهمة الموكلة إليه هي المعلومات الكافية عن جغرافية المناطق، التي يمر بها وعن عادات سكانها وتقاليدهم ، ودراسة الأنساب ، والقبائل وأشهر زعماء هذه القبائل[1].

ويكون ذلك مصحوبا بالرسوم والخرائط، وبهذا يمكن القول أن اهتمام الأب دوفوكو بالصحراء الجزائرية، يدخل ضمن الاهتمامات العسكرية الدراسيين من جغرافيين وانثربولوجيين، ورحلات المستكشفين لدراسة المظاهر الطبوغرافية والتضاريسية والمناخية ، لمعرفة إمكانيات الصحراء الاقتصادية والبشرية لاستغلال واستثمارها[2].

[1] – ابراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعالجيلالي بن إبراهيم العوامر، ط1، الثالة للنشر، الجزائر، ص113 .

[2] –إبراهيم مياسي، التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي، المرجعالسابق، ص 211.

تمهيد:

إنتزامن عمليات الاحتلال والتوغل العسكري الفرنسي نحو دواخل الجزائر يندرج ضمن إستراتيجيةالاحتلال الشامل للمنطقة، منذ تعيين الجنرال بيجوBugeaud حاكما عاما عليها ، والذي انتهج أسلوبا مغايرا في مواجهة المقاومة الجزائرية ، بالعمل على تطويقها ودحرها إلى ما وراء سلسلة جبال التلية، فالموقع الجغرافي الاستراتيجي للجزائر عامة[1]، و الجنوب الغربي الصحراوي خاصة، له أهمية اقتصادية من خلال انه غني بمصادر المياه الجوفية ووفرة خيراتها وثرواتها الباطنية،التي أصبحت محل اهتمام الشركات الفرنسية والشركات العمومية المختصة .

فالدراسات المعمقة عن مردود المنطقة، والقيام بالرحلات الاستكشافية، هو ما لفت انتباه العلماء والجواسيس ورجال البعثات العسكرية التبشيرية، نحو المناطق الصحراوية منها منطقة الجنوب الغربي، ولذلك عملت على توسيع نطاقها الجغرافي بضمها لمعظم مناطقها[2].

المبحثالأول: احتلال عين الصفراء: 1882م

ينحصر إقليم عن الصفراء بين دائرتي العرض 30 و38 شمالا،وخطيطول 01 و06 غربا،فلا يمكن إيجاد عائق أو حواجز طبيعية حيث تقدر المساحة الإجمالية للإقليم 44.340 هكتار[3].

حدد هذا الإقليم في شكل خط يفصل بين الأقاليم المجاورة فيبدأ هذا الخط من الشمال الشرقي، مرورا بالجنوب ويمتد إلى غاية الجنوب الغربي ، فبقية هذه الأجزاء لم يتم رسم حدودها طبقا لمعاهدة لالا مغنية المبرمة في 18 مارس 1847م، استنادا

[1]–ابراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، المرجع السابق ، ص 261.

[2]– مالك بوحوص، المرجعالسابق، ص 52.

[3] – محمد برشان، المرجع السابق، ص 19.

للمادة الرابعة التي تنص على عدم وجود أي حدود إقليمية معتمدةلأن الأراضي مفتوحة، وغبر واضحة المعالم كما تنص الاتفاقية في المادة السادسة، تقول بان الأراضي الواقعة في جنوب الصحراء قاحلة لا ماء فيها ولا سكان فهي جرداء قاحلة ، وعلى هذا الاعتبار فإن كل من توات وتيديكلت مناطق خارجة عن السيادة المغربية والسلطة الفرنسية[1].

فتاريخ عين الصفراء لا يفصل عن تاريخ الصحراء الجزائرية ، والجنوب الغربي خاصة الذي يشكل سلسلة ذات حلقات متواصلة، إلا في بعض الظروف الاستثنائية والحالات الطارئة فطيلة السنوات السابقة حاول الفرنسيون بصعوبة فرض سيطرتهم على هذه المنطقة وإخضاعهالسلطتهم،كماقامت بإجراءات أولية بتعيين قادة جدد لجماعة القصور وقبائل الرحل، وبعد انطلاق مقاومة أولاد سيدي الشيخ 1864 ضد الوجود الفرنسي بالمنطقة كثفت السلطات العسكرية من بعثاتها نحو الجنوب، على غرار بعثة دوكولومبDe Colomb 1855م وبعثة العقيدكولونيو.Coloniou.

فانطلاق العديد من الثورات في المنطقة كثورة الشيخ بوعمامة 1881م، والتفاف قبائل حولها حتم على السلطات الفرنسية بإعادةإنشاءالعديد من المراكز منها مركز عين بخليل،وأخر بالقرب من مشرية، ومع نهاية 1881م تم إنشاء مركز عين الصفراء عقب اندلاع المقاومة بالمنطقة، ثم تحولت إلى دائرة عسكرية بقرار 20 مارس 1882م قصد الحراسة والسيطرة على منطقة القصور، بشكل يضمن الاستقرار

[1] – إبراهيم مياسي، المرجع، السابق، ص 382.

خاصة موقعها القريب من الحدود المغربية ومدينة فقيق التي كثيرا ما اتخذها الثوار ملجأ للاستقرار وإعداد المؤونة، وقاعدة خلفية للدعم المادي والعسكري[1].

قسم مركز عين الصفراء بعد إنشائه من طرف الإدارة الاستعمارية إلى أربعة أجزاء:

1-الحيالأوروبي:يشرف على الضفة اليمنى لواد البريج،يتكون سكانه من حوالي 658 فرنسيا، و199 إسبانيا، و54 ايطاليا،و64 أوروبيا، من جنسيات مختلفة وعدد آخر من اليهود والأهالي[2].

2-الحاميةالعسكرية: التي أقيمت على الضفة اليسرى لواد البريج، وقد أحيطت بجدار حجري حامي من الفيضان لوادي، والذي بدأ العمل بتشييده يوم 14 ديسمبر 1881م وساهم في بنائه جنود الجيش الفرنسي، إلى جانب الأهالي والعمور والقصور وحميان.

3-**القصر**: الذي كان يحمل اسم عين الصفراء الصافية، موقعه بين سفوح الكثبان الرملية يأوي سكانه الذين ينتمون إلى أولاد سيدي وهذا القصر من أحسن القصور بناءا وأحسنها تحصينا ن قد بنيت الكثير من بناياته من حجر.

4-**حي السود** : بني على التماس مع الحي الأوروبي، ويضم القبائل العربية بالإضافة على الزنوج القادمين من قورارة، و وتيديكلت، والسودان، بعد الدمار الذي لحق ببلدة الأوروبية في 21 أكتوبر 1904م، بفعل الفيضانات ثم إعادة التشييد من جدي، بفضل دعمها من طرف الحكومة العامة، ليصبح امتدادها مابين الوادي، ومحطة القطار مشكلا حيا صغيرا يضم بعض المنازل مع الأزقة والشوارع الواسعة، كما

[1] - بن قيطون حمزة، المرجع السابق، ص 45.

[2] - شارل أندريجوليان،المرجع السابق ص189.

يضم مركز عين الصفراء بعض المناطق الأهلية التابعة لهم،موضوعة تحت الإدارة الفرنسية تنظيما منها توات عسلهمغرار التحتاني والفوقاني وسفيسفية[1].

ونظرا للتطورات الخطيرة التي شهدتها منطقة الجنوب الوهراني بالخصوص قطاع عين الصفراء حيث اشتدت هجمات ثورة الشيخ بوعمامة ضد القبائل المساندة لقوات الاحتلال، خصوصا بعد انضمام سليمان بن حمزة رئيس وزعيم أولاد سيدي الشيخ بوعمامة، على رأس 3000 فارس اتجه رفقة فرسانه إلى جنوب غرب عين الصفراء خصوصا على منطقة إقامتهالبكاكرةثم غادر المنقب إلى جبل عمران، لمراقبة القبائل المنطوية تحت الاستعمار الفرنسي فاضطرت القوات الفرنسية بوضع حد لقوات سي سليمان والانتقام منه [2].

ركزت السلطات الفرنسية قوتها وعززت تواجدها في عين الصفراء وعين بن خليل،والعريشية ورأس الماء، ومشرية، والبيض، وسبدو، و الضاية، وخيثر، وفرندة،وتبارت لوضع شبه حاجز على التل ألوهراني من راجل حمايته [3].

وقد عملت الإدارة العسكرية بإقليم عين الصفراء على زرع الحصون والمراكز العسكرية بمختلف المناطق،بعد أن اتضح لها نقص فادح في الحاميان بين مركز المحصن بجنين بورزاق، من اجل تامين الاتصالات بين عين الصفراء وفقيق، وحراسة الواحات المغربية ولذلك تم احتلاله بصفة رسمية في جويلية عام 1885[4].

---

[1]- موسى الطاهر، استكشافات الأوروبية للصحراء الجزائرية خلال القرن 19 مذكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ، بجامعة بشار، الجزائر، 2012-2013م، ص ص16-18.

[2] - صديق بلال، المشاريع الفرنسية بالصحراء الجزائرية، 1956-1962، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص تاريخ الثورة، معهد الجزائر، 1998م-1999م، ص 43.

[3] - إبراهيم مياسي، المرجعالسابق، ص 105.

[4] - موساوي الطاهر، المرجع السابق، ص ص77-80

كما قرر تعزيز هذا الحصن عن طريق ربطه بالخط الحديد يربطه بعين الصفراء الذي انتهت الأشغال به سنة 1887م، وكل ذلك من اجل مراقبة تحركات بوعمامة والقبائل الداعمة له مثل أولاد جرير وعشائر بني معقل، فمنذ سنة 1889م لاحت في الأفق فكرة جديدة وهي احتلال الصحراء بطرق هادئة، ولا يأتي ذلك إلا عن طريق إقامة المؤسسات الاقتصادية وإنشاء مراكز تجارية، في كل من توات وتيديكلت حتى تخضعها لنفوذها، وبدأت تكثف من البعثات الاستكشافية نحو هذه الناطق القاحلة للتعرف أكثر على إمكانياتها الطبيعية والبشرية، ولقد أرسل بهذا الصدد الأستاذ فلاموندFlamendلإتمام أبحاثه حول الجنوب الكبير[1].

المبحث الثاني: احتلال منطقة توات: 1899م

يقع إقليم توات في الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية، يحدها من الشمال العرق الغربي الكبير، ويحدها من الجنوب صحراء تانزروفت،يحدها من الشرق العرق الشرقي الكبير، أما من الغرب يحدها واد الساورة[2].

يشتمل الإقليم على عدد من الواحات والمدن والقصور تزيد عن ثلاث مائة وخمسين واحة متناثرة هنا وهناك وهي تغطي حوالي 2000 ميل مربع من الأرض، ويقع إقليم بين خطي عرض 26^0و30^0 شمالا وبين خطي طول 04 غربا إلى 01 شرقا[3].

---

[1] – محمد برشان، المرجع السابق، ص 21.

[2] – عبد الحميد بكري، نبذة في تاريخ توات وأعلامها، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين ميلة، الجزائر ط1، 2005م، ص 15.

[3] –فرج محمودفرج، إقليم توات خلال القرن 18 و19، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. 1984م، ص 01.

يحتوي على ثلاث مناطق توات الوسطى ومنطقة وتيديكلت ومنطقة قورارة[1]، ومن الناحية التضاريسية يضم حمادة والرق والعرق، ويغطي سلاسل جبلية منخفضة وهضبة تاقدمت، أما من الناحيةالهيدوغرافية يقع الإقليم التواتي في مجال صحراوي تجري مياهه السطحية والباطنية منذ ما قبل التاريخ،وبحكم هذا الموقع الجغرافي للمنطقة عملت السلطات على التوسع لإحكام السيطرة على منطقة الجنوب الغربي الصحراوي كغيرها من المناطق [(2)].

إن السياسة الاستعمارية في إقليم توات والأزواد كانت تسعى على بسط النفوذ الفرنسي العسكري والاقتصادي، وذلك بربط الجزائر الشمالية بإقليم الساحل عبر الصحراء فسعت السلطات الفرنسية لاحتلال الصحراء وهذا من خلال إرسال البعثات الاستكشافية للتقرب والتعرف على موارد المنطقة وإمكانيتها الطبيعية والبشرية[3].

ركز اهتمامها عندما وضعت مشروع الخط الحديدي عبر الصحراء من أجل استكشافات واستثمار خيرات المنطقة، لهذا اتجهت نحو إرسال البعثات العلمية للبحث عن انجح السبل لتحقيق هذا المشروع، فرغبت فرنسا في التوغل نحو الجنوب الغربي[4]، سعت من ورائها إلى بناء المشاريع الاقتصادية والعسكرية والتنصيرية وهذا من

---

[1] – الحاج احمد الصديق، تاريخ الثقافي لإقليم توات، مديرية الثقافة لولاية ادرار، ط1، 2003، ص01.

[2] – عبد الحميد بكري،المرجع السابق،ص 15.

[3] –عبد الرحمان تاشاجي ،الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى،تر: عليعزازي ،منشورات المركز دراسات الجهاد اللبيين ضد الغزو الايطالي ، ليبيا ،ص130.

[4] – محمود صالححوتيه، توات والازواد، الجزء الأول، دار الكتاب العربي (د ط) الجزائر، 2007م، ص 460.

خلال السياسة المنتهجة التي تتبعها في طريقها سواء من خلال المقاومة أو فتح الاستثمار في المنطقة[1].

استغلال فرنسا النزاعات بين القبائل لكي ينحاز لها السكان، وتكون طرف حاكم في ذلك من خلال احتلالها لبعض الأقاليم الصحراوية،وانتهاجها سياسة الخصم والحكم وتمكنت فرنسا من وضع مخالبها، على هذه الأقاليم توازنا مع الخطط العسكرية والمشاريع الاقتصادية للاستعمار في شتى الميادين، وتكون منفذ لبناء توسعها الاستعماري داخل إفريقيا[2].

فقد كشفت فرنسا عن بعثاتها الاستكشافية في منطقة توات، فكانت هذه الرحلات بمساعدة سي حمزة من أولاد سيدي الشيخ الشراقة الذي كان مواليا لفرنسا، وقد تم خلال هذه الرحلة رسم لعدة أماكن مختلفة ونجد ذلك رحلة كولونيوCarcapino عام 1857م وصل فيها إلى القسم الأعلى لواد الساورة سنة 1860، وتمت هذه الرحلة تحت نفوذ العسكري لسلطات الفرنسية ثم جاءت رحلة الضابط دوكولومبDecolomb وهو حاكم البيض الذي قام برحلة إلى الجنوب الغربي ووصل في شهر جانفي 1857م زار خلالها الأقاليم تنجوراين وتوات وتيديكلت، وقد استغرقت هذه الرحلة مدة 25 يوما [3].

---

[1]- ابراهيم مياسي،المقاومة الشعبية، دار المدني للنشر والتوزيع ،بدعم من وزارة الثقافة في إطار وطني للتربية والفنون الجزائر،2009م،ص 97.

[2] – دحمان تواتيوآخرون، إقليم توات خلال الثورة الجزائرية 1956-1962، دار الشروق الجزائر، 2008، ص 08.

[3] – محمد صالح حوتيه،المرجعالسابق، ص 461.

في نفس الفترة قامت رحلة القائد بيرانBurin،بمحاولة استكشاف تانجوران وتوات فانضم إلى القافلة التجارية التي تنطلق من السعيدة والبيض،وتضم قبائل مختلفة والهدف منها هو التمويل إقليم توات بالجنوب [1].

أما عن أهم دوافع الاحتلال فرنسا لإقليم توات في الجنوب الغربي فتعود إلى أهم الدراسات الجيولوجية وبعض البعثاتالاستكشافية، التي تقول أن المنطقة تحتوي على ثروات كبيرة ومتنوعة تحتاجها فرنسا لازدهار صناعتها من بينها بعثة الأستاذفلاموندFlamand الذي اكتشف منطقة تنجوراين .

ويؤكد بعض المكتشفون أن منطقة توات تحتوي على كميات كبيرة من معادن، وهذا ما اكتشفه سوليSoleillet الذي يتوقع وجود وأكسيد المغنيزيوم في حمادة المناطق الجنوبية الغربية للجزائر وذلك ببعض الأماكن من هضبة تاقدمت كما يتوقع وجود معادن أخرى بالصحراء كالنحاس والرصاص[2] .

بدأ الاستعمار يتوغل شيئا فيشأ ويحتل جزء من الصحراء،وفتح أبواب هذه المنطقة من خلال رواد العسكريين والمدنيين،وقد كان جل هؤلاء الرواد يتعرضون إلى الاغتيالات وكان المسئولون الفرنسيون يخفون الأسباب الحقيقية وينسبونها على قطاع الطرق، وقد عرفت هتها المنطقة قبل الاحتلال الفرنسي أنواعا من الجوسسةعن طريق المغرب، والبعض الآخر عن طريق غرداية [3].

فمنطقة توات كانت من بين المناطق التي توسع فيها الاستعمار يوم 27 أفريل 1900م مع إرسال طابور العقيد مينسترالMenestreلإخضاع منطقة

---

[1] – إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 273.

[2] – الصافي خيثر، النضال السياسي والثوري في إقليم توات، ما بين 1956 –1962، رسالةالماجستير في التاريخ العام، قسم العلوم الانسانية، بشار 2011–2012م،ص 84.

[3] – محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج 2، دار هومة،الجزائر، ص 302.

تنجورارين الواقعة بشمال إقليم توات، الذي يحيط من الحوض الشرقي لواد الساورة من الغرب،وهضبة تادميت من الشرقو الجنوب، زحفت القوات الفرنسية بجيش يتألف من ثمانية مئة جنديا و قد انطلقت من المنعةللاحتلال منطقة، ومع ذلك لم تخضع كل المنطقة لنفوذ القوات الفرنسية لهذا أستمر الضابط منسيترالMenestre في إخضاع بقية القصور المنتشرة هنا و هناك في المنطقة إلى أن دخل قصور زوا و دلدل يوم 31 ماي 1900م[1].

بعد العمليات للقوات الفرنسية جاءت الخطوة الحاسمة في السيطرة واحتلال توات وذلك باقتحام طابور الجنرال سرفيارServieuقائد الشعبة العسكرية لإقليم الجزائر لكل من تيديكلتوتنجورارين من 21 ماي إلى 28 أوت 1900م [2].

تحركت القوات الفرنسية نحو إقليم توات وتكونت قوات الجيش من 07 ضباط، و 234 رجلا،و56 حصانا و299 جمل سريع الحركة، حيث اخذ الجميع الطريق الطويل نحو الغرب من عين صالح إلى عين شبي، والتي قدرت المسافة إليها بحوالي 40 كلم،وهي الحد الفاصل بين تيديكلت وتوات،غادر الطابور عين شبي يوم 23 جويلية على الساعة الثالثة صباحا، وبعد مسيرة 03 ساعات تبادرت إلى الأعيان منطقة توات وبدأ يعتزم منهم من حين غلى آخر رجال الجهة ووصل الطابور إلى المنطقة على الساعة السابعةصباحا [3].

رجع الجنرال سرفيارServierإلىتنجورارين وتوات خلال جانفي1901م، ليعاود رحلته الاستكشافية ويطلع على الأماكن التي لم يتمكن من زيارتها في الرحلة السابقة، وتركها للرحلة الثانية حلت القوات الفرنسية سرفيارServierبالمنيعة يوم

---

[1] – إبراهيم مياسي، التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، المرجع السابق، 1996م، ص 57.

[2] – فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 93.

[3] – إبراهيم مياسي، احتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص 492.

15 جانفي 1901م، لتنطلق يوم 17 جانفي قاصدة تيميمون عبر حصن ماكماهون* ([1]).

دخل الطابور إلى تيميمون يوم 26جانفي1901م وكانفي انتظاره العقيد كوشمازCauchmez، القائد العسكري للواحات الصحراوية الذي وصل إلى تيميمون منذ شهر نوفمبر [2].

توسع الاحتلال الفرنسي في الجنوب الغربي بالأخص في إقليم توات، بهدف ربط مستعمراتها الإفريقية في غرب القارة، ووسطها ثم شمالها وذلك باحتلال الجزء الجنوبي لأنها تعتبر حلقة ربط بين هذه المستعمرات في إقليم توات، هو الضمان للاحتلال الكامل للبلاد لان الثورات الشعبية التي كانت تندلع في الجزائر من حين إلى آخر كانت تجد في توات والواحات معقل يلجا إليه الثوار للراحة والاستقرار[3].

المبحث الثالث: احتلال منطقة الساورة: 1903م

يتحدد إقليم الساورة بمعالم طبيعية واضحة تتمثل في السفوح الجنوبية للسلسلة الأطلسية شمالا وهضبة الدرعة غربا وعرق الشاش جنوبا، ويمتد الإقليم على مساحة 7800 كلم، وتتكون المرتفعات من تلال لا يفوق ارتفاعها 400 متر، إلا نادرا

---

* – ماكماهون، عين حاكما للجزائر فيما بين 1864 و–1870م، ينظر: محمد بلخير، أشعار الهوى والوغي، تح: بوعلام بسايح، تر: نور الدين خدودي،دط، وزارة المجاهدين للنشر والطباعة،لجزائر، 2010م، ص 26.

[1] – فراج محمود فراج المرجع السابق، ص 95.

[2] – محمد حوتية، قبيلة كناتة، بين إقليم توات والازواد في القرنين 18 و 19م رسالة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر 1993م، ص09.

[3] –روس دان ، المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي،1881الى غاية 1912،تر : احمد بحسون ،دط،منشوراتالزواية، المغرب ، 2006م،ص250.

ذات الصخور الصلبة بها سهول تغطيها كثبان رملية أهمها العرق الغربي الكبير، وعرق إيقدي وعرق الشاش، وتخللها بعض الأودية منها واد بشار*[1].

تعود كلمة الساورة إلى صناعة السكان للأسوار واستعمالهم لها فواد الأسوار يعد من أطول الأودية في المنطقة، وتمتاز المنطقة باحتوائها على عدد كبير من المعالم التي تعود إلى ما قبل التاريخ كما يوجد بها العديد من المناجم التي تحتوي على الصخور يعود تاريخها إلى آلاف السنين[2].

بحكم المكانة الجغرافية التي عرفتها منطقة الساورة كغيرها من مناطق الجنوب الغربي وقعت هي الأخرى في أيادي استعمار، فبدأت الطلائع الأولى للقوات الاستعمارية تصل على المنطقة مع بداية القرن الثاني من القرن التاسع عشر، ففي يوم 11جانفي 1855م وصل النقيب الفرنسي دو كولومب إلى منطقة بشار حيث اشتبك مع سكانها وعاد مرة ثانية يوم 28 مارس 1857 إلى أنه فشل كذلك[3].

بعد أن استعصت على الجنرال دوكولومب التوغل تكونت الحملة الفرنسية في 18 مارس 1857 والأخرى بقيادة الجنرال ومبفنWimpffen، واستهدفت قصر بوكايس* وبعد يومين وصلت القوات الاستعمارية إلى القنادسة، ثم نزل الجنرال

***واد بشار**: يطلق عليه اسم واد الاسورة وهو مجرى مائي بإقليم بشار، ينظر: عبد الله حماديالإدريسي، الاستبصار في تاريخ بشار وصحاري الجوار، ج1، ط1، 2013م، ص30.

[1] – بوبكر بن علي، دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، سلسلة القوافل العلمية، منشور وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ص 30.

[2] – بوبكر بن علي، منطقة الساورة التفاعل الثقافي والتواصل التاريخي، ملتقى بشار، 2010، منشورات وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، الجزائر،2011، ص 30

[3] – محمد برشان، النشاط السياسي وبدايات العمل الثوري بملحمة عين الصفراء، 1942–1956، (د ط)، دار المعابر للنشر، وزارة الثقافة الجزائر، ص 36.

***قصر بوكايس**: هو قصر من قصور شمال بشار وتم الاستيلاء عليه يوم 08 أفريل 1870، ينظر: بوبكر بن علي، المرجع السابق،ص 31.

الفرنسي ليشن معركة أخرى سميت بمعركة العبادلة يوم 14 أفريل 1870م لكنه أخفق في الاستيلاء على المنطقة[1].

كانت ردت فعل أصحاب المنطقة عنيفة خاصة بعد هذه الهجومات حيث تصدى لها حوالي 900 شخص من بينهم 300 فارس أما في شهر ماي 1886م قام السكانبالاستيلاء على القافلة الفرنسية يوم 18 أفريل1886مو منه انطلقت حملة عسكرية فرنسية كبيرة تتكون من 2000 جندي و3000 جمل من منطقة يوم 26 مارس 1900م تحت قيادة العقيد بيرطروندBertrand[2].

إناستمرار التنظيمات الاستعمارية الفرنسية للمناطق المحتلة جعلته ينشئ الكتيبة الصحراوية للساورة وألحق بها مراكز أيقلي وضم مركز بني عباس [3].

كان سكان منطقة يزيدون من حدة المقاومة ففي 19 و29 مارس 1903 هاجم السكان القافلة الفرنسية التي كان يقودها الحاكم العام للجزائر ، جونارGonnar وعدد من الصحافيين الذين اضطروا إلى الفرار في 31 ماي 1903 أما في شهر جوان توجهت فرقة عسكرية يقودها الجنرال دو d'eu إلى شمال بشار فهاجمت الفيلق الفرنسي قوات كبيرة،وعلى الساعة الثالثة والنصف صباحا نتج على هذه المعركة 29 قتيل في صفوف العدو من بينهم القائدان أندريAndre ودوشان Douchéne، مما اضطر القائد الفرنسي رونوRenaultالموجود ببني

[1] -إبراهيم مياسي المقاومةالشعبية، المرجع السابق، ص 110.

[2] - محمد العيد اليتجاني، الشؤون الدينية الجزائرية من خلال جريدة المبشر، 1914/1900، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2006/2005م، ص25.

[3] - إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء، السابق المرجع، ص 499.

عباس إلى ملاحقة الثوار لمسافة 300 كلم إلى غاية منطقة النخلية يوم 25 جويلية وهناك دارت معركة نتج عنها 10 قتلى و 25 جريح[1] .

فوصول المستعمر إلى منطقة بشارواحتلالها يوم 12 نوفمبر 1903م نتج عنه وقع اشتباك مع القافلة الفرنسية شمال المنطقة قتل فيها 40 شخصا من صفوف القوات الفرنسية وغنم أفراد المقاومة 1000 جمل، واستمرت المطاردة من طرف الفيالق الفرنسية الصحراوية والتقى الطرفان يوم 21 ديسمبر نتج عنها فشل القوات الفرنسية ويرجع ذلك إلى تعب الفيالق التي استغرقت مسيرتهم عدة أسابيع.

لكن أعمال المقاومة لم تتوقف ففي شهر أكتوبر 1906م، حدث هجوم على القوات الفرنسية وتمكن الثوار من الاقتراب من منطقة بشار، وتمت معركة باهدي في 25 أكتوبر 1908م التي كانت بقيادة الملازم كاركوبينيوCarcopino غنم فيها أفراد المقاومة 281 جمل و21 بندقية[2].

استمرت المواجهات حيث تمكنت المقاومة الشعبية من قتل الجنرال كلافريClaveryيوم 08 ديسمبر1907م، بقيادة عبد الرحمن ولد بوزيد ثم وقعت معركة الجهاني التي تبعد 90 كلم جنوب غرب بشار يوم 14 أكتوبر 1908 م حيث بلغت خسائر الجيش الفرنسي 50 قتيلا ولم تتوقف العمليات العسكرية فقررت الإدارة الفرنسية تعيين مدينة بشار كمقر لقيادة إقليم الجنوب الغربي الذي كان في عين الصفراء سابقا[3].

---

[1] – بوبكر بن علي، نشاط الحركة الوطنية في منطقة الساورة 1940–1954 المجلة الخلدونية، ع6، جامعة ابن خلدون تيارت،2013م،ص223.

[2] – مبارك جعفري،المقاومة الشعبية في الجنوب الغربي الجزائري، مقاومة الرقيبات، نموذجا، 1950–1934، مجلة العصور الجديدة، ع6، دارالقدس العربي، ، جامعة وهران، 2012م،ص 91.

[3] – إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص 495.

المبحثالأول: المولد والنشأة

دخل بوعمامة التاريخ من باب واسع، واشتهر حتى بلغت شهرته الأصقاع والأفاق مشرقًا ومغربًا، لأنه أشرف على مقاومة كادت تعم الغرب الجزائري بأكمله، بل أنه أدرك بالبديهية الصائبة، والرأي الراجح للدور الذي يجب أن تلعبه الزاوية الروحية.

1–مولده

فالشّيخ بوعمامة هو محمد بن العربي بن الشيخ بن الحرمة بن محمد بن إبراهيم بن تاج، المشهور بالشيخ بوعمامة، وهو أحد أحفاد الوالي الصالح الشيخ عبد القادر بن محمد المعروف بسيدي الشيخ*، وهو من بني عمومة سي سليمان بن حمزة زعيم الانتفاضة المسماة في التاريخ "ثورة أولاد سيد الشيخ 1864م[1]، ولقب بوعمامة هي التسمية التي لازمته طوال حياته لكونه يضع عمامة على رأسه شأنه في ذلك شأن كل العرب، ولد بقصر الحمام الفوقاني بفقيق** المغربية حوالي سنة 1838م أو 1840م، ولكن اختلفت الروايات في مكان ولادته، فهناك رواية تذكر بأنه ولد في قلعة مشورة قرب نخلات بني إبراهيم في وادي زوزفانة وهذا جنوبي بلدة بني ونيف وليس في الحمام الفوقاني،كما تضيف هذه الرواية ملاحظة ثانية وهي أن الشيخ يسمى بوعمامة في الأصل، ولم يسمى قط محمد كما شاع[2].

---

* **هو عبد القادر بن محمد بن سليمان بن بوسماحة هو** : مؤسس الطريقة الشيخية يعود نسبه إلى الخليفة أبو بكر الصّديق، تعلم اللغة العربية والفقه، درس المذهب الصوفي، استقر ببلدة فقيق، وأنشأ بها زاوية تدعى العباد، ينظر: عبد القادر خليفي، الطريقة الشيخية أصولها وأذكرها و انتشارها، مجلة سلسلة القوافل العلمية منشورات وزارة الشؤون الدينية الأوقاف، الجزائر، 2011م، ص ص 16،17.

[1] – إدريس بن خويا، البعد الروحي لمقاومة الشيخ بوعمامة، مجلة سلسلة القوافل العلمية، ع4، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م، ص ص 105،106.

** **فقيق**: هي مجموعة قري تمتد على نحو 20كلم، تشمل سبعة قصور كلها تابعة اسميا إلى سلطة المغرب الأقصى، ولكن تتصرف فيها الإدارة الجنوب العسكري الفرنسي ولا تتبع قطر الجزائر منها إلاقرية بني ونيف، ينظر : أحمد توفيق المدني، أبطال المقاومة الجزائرية، مج9، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص 160.

[2] – عبد القادر خليفي، الطريقة الشيخية، ط2، منشورات المجلس الأعلى،الجزائر،2010، ص ص 114،115.

تنحدر عائلة أولاد الحرمة من أولاد سيدي التاج الابن 13 الجد الأول لسيدي الشيخ، وقد كان لهذه الأخيرة جزء في التراب المغربي بمقتضى معاهدة لالة مغنية 1845م*، لذلك يطلق عليهم أولاد سيد الشيخ الغرابة[1]،وقد خلّف سيدي الشيخ 18 ولدا، فتوفي منهم 7 ولم يتركوا أولادا، أما ابنه التاج فكان الابن الثالث عشر الذي ولد من أم فقيقية، وكان التاج مدللا عند والده، حيث كان يمنعه من الخروج خوفا عليه وأعطىأوامر صارمة ضده لذلك يدعى بالتاج المخفي، حيث أنجب سيدي التاج** ، ولدين وهما عبد الرحمن وإبراهيم، وهكذا انقسم أبناؤه إلى قسمين: أولا عبد الرحمن وهم المعروفون إلى اليوم "بأولاد سيدي التاج"، والمتواجدون بنواحي عين الصفراء، وأولاد سيدي إبراهيم المدعوون "أولاد بلحمرة" أو الحرم نسبة إلى الحرمة بن محمد بن إبراهيم ابن التاج[2].

هذا الأخير كان من صفاته الرزانة ومن سماته رجاحة العقل والوقار حيث ظل طيلة حياته محل احترام وتقدير، لا صيام من طرف نعيمي بن أبي بكر رئيس الفرع الأكبر لأولاد سيدي الشيخ الشراقة وتنتمي إليه الأجيال التي تناسلت من بعده "بأولاد

***لالة مغنية**: هي معاهدة تم توقيعها 19 ربيع الأول 1260هـ الموافق لـ 18 مارس 1845، لرسم الحدود بين المحتل الغربي بالجزائر والسلطات المغربية للمنطقة، ينظر:محمد بن مصطفى المشرفي،الحلل البهية لملوك الدولة العلوية، ج2، ط1، تح: عريب بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2005، ص 232.

[1] – إبراهيم مياسي، الشيخ بوعمامة والجنرال سوسيه وجه لوجه، مجلة الذاكرة، ع4، المتحف الوطني للمجاهد، 1996، ص 197.

****تاج المخفي هذا اللقب**:تمثله هو أن سيدي الشيخ عمل على إخفائه من الناس إلى سن البلوغ ، و ذلك حذر من أن تصيب ابنه عين حاسدة ومرة صادف، أن سيدي الشّيخ في جلسة مع وفد من القبائل العمور جاء لتأدية الزيارة، و إذا بالولد يرتمي في أحضاه، خوف عليه من حسد، فصر الحاضرون و عبر عن فرحتهم بشخيهم الصغير، ينظر : عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة 1881–1908 م جانبها العسكري (1881–1908) ، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2010م، ص 40.

[2] –عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 113.

الحرمة"[1]، وتتلمذ بوعمامة على يد الشّيخ البوشيخي الدرقاوي[*]، وعلى يد السيد محمد ابن العربي، ثم تطرق إلى دراسة التصوف والطرق الصوفية[2].

أما بالنسبة لوالد الشيخ بوعمامة هو الشيخ "العربي بن الحرمة" الذي كان يزاول مهنة بيع البرانس والحلي ما بين منطقة فقيق والمغرار التحتاني، وهي خرابه توحيد أسفل قرية مغرارالفوقاني، ويعتبر جد بوعمامة "إبراهيم بن التاج" من أولاد سيدي التاج، لمعوا بفضل إقدامه وبسالته التين اكتسب من خلالهما نفوذا لدى القبائل العربية، مما أكسبه ثروة طائلة، امتد صداها حتى بلغ بلاط مولاي الرشيد الثالث سلاطين الأسرة الفيلالية[**].

وقد ساور هذا الأخير خوفا من انتشار سمعة إبراهيم المتميزة، كما راوده الطمع في الاستيلاء على ثروته، فأدى به الحال إلى السير على رأس جيش لمحاربته، لكن النصر في النهاية كان حلف إبراهيم الذي تألق نجمه وعلا، في حين لاذ العدو بالفرار بعد خسارة كبيرة في صفوفه، ولحقه في منخفض مالحة الذي أصبح حينئذ يسمى حوض مولاي الرشيد[3].

***الدرقاوي**: هومحمد العربيالشيخ الدرقاوي، مؤسس الطريقة الدرقاوية 1804م، وكان منفقراء المتصوفة بالمغرب الأقصى، وتعتبر من ثورةالدرقاوي منالثورات الدينية في العهد العثماني، وكان أتباعه منتشرين في الجزائر، وخصوصا غربها وكان مقدم طريقة في وهران هو الشّيخ عبدالقادر شريف،ينظر: أبو رأس الناصري الجزائري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، ط1، تح: محمد بورکبة ،منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م، ص ص 87،88.

[1] – عبد الحميد زوزو، المرجعالسابق، ص 39.

[2] – محمد أمين بلغيت، الشيخ بوعمامة، القائد المتصوف الصراط،العدد2،مجلة كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، مارس 2000م، ص 185.

** **فلالي** : هو تصغير لاسم مدينة تافيلات المغربية، ينظر : محمد بلخير، أشعار الهوى و الوغى ، تق: بوعلام بسايح ، تر :نور الدين الخندودي، النشر و وزارة المجاهدين ، 2010م، ص 85.

[3] – عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص ص 38،39.

كما أن إبراهيم ابن التاج كان يزور الجزائر في كل عام لجمع الأموال الزيارات من أتباعأولاد أسرة أولاد سيدي الشيخ في التل الوهراني والصحراء، وفي إحدىهذه الزيارات توفي ودفن لدى بني إسماعيل في سبدو، وبنيت عليه قبة وضريح[1].

2–نشأته:

انخرط الشيخ بوعمامة في سلك حلقات العلم منذ نعومة أظافره، حيث اهتم بحفظ القرآن، ومبادئ الخط، كما سعى إلى طلب العلوم الدينية من خلال مبادئ الشريعة مرورا بكل المدارس الكلامية إلى الفقه وعلومه، ثم انكب على دراسة التصوف والطرق الصوفية التي كان لها تأثير عميق على حياته وعقيدته وتصوره[2].

إلى جانب حفظه للقرآن الكريم يشير بعض المؤرخين أنه تعلم طقوسا غريبة تتصل ببعض الخرافات التي تشوب بعض الطرق الصوفية التي يعتمدون إحاطتها بالسرية والكتمان لكي يوهموا بها الناس البسطاء أن في أيديهم معرفة بالغيب[3].

كما تشير بعض المصادر الفرنسية أنه أصيب بمرض الصرع في صباه، وكانت تعتريه حالات عصبية وحالات غيبوبة يقوم خلالها بحركات سحرية[4]،منهم الضابط "فاشي" Vachieaيقول بأنه أصيب بمرض عقلي استلزم على أهله أن يطوفوا به عددا من المزارات طلبا للشفاء كضريح سيدي الشيخ في الأبيض، وضريح سيسليمان بوسماحة في بني ماسيفبالشلال وهي قرية تشمل منازل مبنية بالحجر الصلصالي، محاطة بجدار يحميها

[1] – يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنيين 19 و 20م، منشورات المتحف الوطني للمعاهدة، الجزائر، 1996، ص 290.

[2] – محمد أمين بلغيث، تاريخ الجزائر المعاصر، (دراسات ووثائق)، دار البلاغ،الجزائر، 2011، ص 64.

[3] – عثمان سعيدي، الجزائر في التاريخ، دار الأمة، الجزائر، 2013، ص 602.

[4] – عبد المجيد بن نعيمة، موسوعة أعلام الجزائر، 1830–1954، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007، ص 93.

مفتوحة من ثلاث جهات تسمى: دبدب أم عامر باب الطفرة، باب الخرابيش،وهذا الضريح بقي فيه عاما كاملا[1].

ونجد بعض التقارير المختلفة تصف الشيخ بوعمامة بأنه مجرد رجل مهووس بينما ذكرته تقارير أخرى بأنه رجل ديني صاحب الطريقة الصوفية، مرابط يجمع أموال الزكاة لينفقها على أصحابه، والبعض وصفه بأنه مجرد مجنون مدروش[2]، ولكن هذا لم يمنع من نمو وتطور شخصيته، والدليل على ذلك من خلال إلهامه بالمعارف، فقد كان يتقن اللغة الاسبانية غاية الإحسان، ويتكلم بها على وجه الصحة، ويتكلم اللغة الايطالية بما فيه الكفاية، ويفهم جيدا معنى الكلام باللغة الفرنسية وإن كان لا يتكلم بها، بالإضافة إلى اهتمامه بالدين، فقد حج مرارا إلى مكة المكرمة حجات موالية، وفي كل واحدة منها يمر بتونس ويقيم فيها مدة طويلة.[3]

أما من حيث البنية الجسيمة فهو قصير القامة، كان حسن الهيئة، ذو منظر جميل يطلق عليه الذكاء وجودة الفطنة، وهو حاد العينين، صغير الأنف، غليظ الشفتين، أسمر اللون، خفيف اللحية، كبير البطن، حركاته سريعة جدا كان مولعا بهجاء الغير، شديد السطوة على جيوشه، غير أنه لين الطبع، ولم يكن ذا شان كبير في صباه.[4]

ويختلف البعض في طبيعة البيئة التي نشأ فيها الشيخ بوعمامة، فالبعض يقول إنه نشأ في بيئة دينية، حيث اتبع حياة الزهد والشك على غرار أجداده فيقضي معظم وقته في التعبد أو تعليم القرآن ودراسة المسائل الفقهية التي تطرح عليهن فهو إذا رجل دين وسلام لا رجل الحرب وعدوان[5].

---

[1] – يحي بوعزيز، أضواء على ثورة الشيخ بوعمامة بالجنوب الوهراني، (1881–1908) ،ع 68،مجلة الثقافة، 1986، ص 13.

[2] – إدريس بن خويا، المرجع السابق، ص 108.

[3] – عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 42،41.

[4] – يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص 290.

[5] – الرشدى أحمد الشقراني،القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط، تر : نصر الدين سعيدوني ، دط، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، 1991م، ص20.

نشأ الشيخ بوعمامة في بيئة بدوية قاسية إلا أنه كان للأسرة مكانة دينية نعتبره في المنطقة التي تقيم بها، فهذه البيئة جعلته يميل إلى العنف والنزعة القوية، والتطلع الكبير إلى الحكم منذ صغرهن ساعدته الظروف الزمنية والمكانية على تحقيق جل ماكان يطمح إليه، لأن المنطقة التي ينتشر فيها نفوذ العائلة مثل بشار وتوات والبيض وعين الصفراء كانت تسكنها قبائل تشتهر بشدة بقوتها[1].

عرفت فترة النصف الثاني من القرن 19 توترا في عصر الشيخ بوعمامة فالدور العلمي والديني الذي تميز به سمح له بأن يكون له تأثير كبير في نفوس القبائل المجاورة دون الاعتماد على القوة، فكان همه الوحيد هو محاربة العدو الفرنسي، فقرر والده سي العربي بن الحرمة أن يجعل ابنه ملازما للشيخ محمد بن عبد الرحمن أحد مقدمي الطريقة الشيخية[2].

غادر الشيخ بوعمامة وعائلته فقيق نهائيا عام 1875م، وانتقل إلى مغرر التحتاني بجنوب الجزائر الغربي حيث منحت له قطعة أرض أسس عليها مسكنا ([3]) بالمغرار التحتاني، أسس الزاوية على غرار زوايا أجدادهن وأصبح أحد الشيوخ الطريقة الشيخية بإشارة من شيخه محمد بن عبد الرحمن مقدم الطريقة، فعمل بوعمامة على تجديد هذه الطريقة ونشرها بين السكان هناك، فأصبح مقصد للعديد من أتباع والراغبين في رؤيته والتبرك به وبدعواتهن وذلك كونه ينتسب إلى العائلة الشيخية ذات الشأن الكبير في المنطقة الجنوبية الغربية لأنها من المرابطين المحترمين من قبل السكان لانتسابهم إلى جدهم الأعلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وإلى سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد[4].

---

[1] – عبد الكريم بوصفصاف وآخرون، معجم أعلام الجزائر في القرنين 19 و20، ج1، دار الهدى،الجزائر، 2002م، ص 296.

[2] – إدريس بن خويا، المرجع ا لسابق، ص 106.

[3] – عبد المجيد بن نعيمة، المرجعالسابق، ص 93.

[4] – عبد القادر خليفي، محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة 1830–1962م، وديوان المطبوعات الجامعية، 2010م، ص ص306،305.

كانت الطريقة الدينية الشيخية هي طريقة أجداده التي تستمد طقوسها من الطريقة،الطيبية ذات الشهرة والانتشار بالمغرب الأقصى والجزائر والضابط "دوفيريي" Alberiarevy يعتقدأنطريقة بوعمامة هي الطريقة السنوسية*، التي لها قربة مع أولاد سيدي الشيخ، ولكن ماهو معروف أنطريقة الشيخ بوعمامة هي الطريقة الشيخية[1].

ومما يلفت الانتباه لدى هذا الزعيم الديني والشيخ الناسك انه لا يتحدث إلا بالقرآن الكريم ولا يكاد ينطق في أحاديثه، والاستشهاد إلا بكلام الله[2].

وقد أصبح منذ فترة مبكرة على درجة كبيرة من العلاقات بكبار المشايخ، والمقدمين بمنطقة الجنوب الغربي الجزائري، التي يعرف قصورها وقبائلها معرفة ستجعل من رحلاته خلال مرحلة التحصيل العلمي مقدمة ايجابية[3]، حيث عمل على نشر المحبة بين الناس، وجمع الشمل بين القبائل في وقت كانوا في حاجة إلى من يمد لهم يد العون وإلى جانب ذلك كان يعمل على إحياء طريقة أسلافه[4].

رغم ذلك نجد أن عدد من أقربائه كانوا يريدون القبض عليه 1881م، حيث انه تخلى عن المواجهة وفضل الانسحاب من الميدان ليس ضعفا، وإنما تجنبا للحرب مع إخوانهالمسلمين كما نجد هؤلاء الأعداء اتهموه بإرغام الناس على إتباعه بدون حق، وكانوا بذلك يقصدون القبائل التي تركت وانضمت إلى الشيخ بوعمامة فكان يتعرض للشتم والتحقير، ورده كان يقابل السيئة بالحسنة.

---

* **الطريقةالسنوسية:** نسبة إلى مؤسسها محمد بن علي السنوسي بالجبل الأخضر، بالضواحي سرتا 1843م، وكان زعيم أتباع السنوسية في المغرب الأقصى هوموسي أحمد منقبيلة بني سوس، وقد أنشألتواتي أتباع سيأحمد السنوسي، رابطا بزربوبة بضواحي توات، ينظر:محمد العربيمعريش، المغرب الأقصى في عهد السلطان حسن الأول، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1989، ص 128.

[1] –يحي بوعزيز، ثورات الجزائر...، المرجع السابق، 290.

[2] – بوعلام بسايح، أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بالسيف والقلم 1830 – 1954م عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص 187.

[3] – محمد الأمين بلغيث، المرجع السابق، ص 117.

[4] – عبد القادر خليفي، الطريقة الشيخية، المرجع السابق، ص 117.

كان الشيخ بوعمامة يتتبع أحداث بلاده خاصة فيما تعانيه من ويلات الاحتلال الفرنسي، الذي كان يزحف نحو الجنوب ليبسط نفوذه على كامل مناطق الصحراء ([1])، فقد اشتهر بآرائه الجهادية، ففي شهر مارس 1880 أصدرت السلطات الفرنسية أمرا بإيقافه واعتقاله، وفي 1881م أعلن الجهاد ضد الفرنسين فانضمت إليه قبائل عديدة قادها في جهاد طويل[2]، وذلك بسبب قدرته على محاربة الفرنسيين لمدة 23 سنة[3]، فقد كان الشيخ بوعمامة ذا قوة وشجاعة لذا عزم الفرنسيين يصرون على متابعته والنيل منه[4].

المبحثالثاني:مقاومةالشيخ بوعمامة 1881–1908م.

لا تختلف أسباب المقاومات الجزائرية عن بعضها البعض ويعود ذالك للترابط والتقارب فيما بينها، وكذلك تمحورها حول سبب واحد هو رفض التواجد الفرنسي وعدم الرضوخ للسياسة الفرنسية وهذا ما دفع بالشيخ بوعمامة لتفجير هذه الثورة.

1–أسباب اندلاع المقاومة (الأسباب الداخلية الخارجية لتحضير)

–الأسباب الداخلية:

مما لاشك في أن من أهم أسباب هي التصادم لمصالح الشعب الجزائري مع الاحتلال الفرنسي ومقاومته[5]، ففي نهاية الإمبراطورية الثانية عام 1870م وبداية الجمهورية الثالثة، توضحت أكثر مقاصد فرنسا في الانتشار التجاري والعسكري، حيث ظهرت مقاومة التوغل الفرنسي الذي وصل حينئذ إلى مشارف المجال الذي كان يسيطر

---

[1] – سعيد بورنان ،شخصية بارزة في كفاح الجزائر، 1830–1962 (رواد المقاومة الوطنية في القرن 19) ، ط 2، دار الهلال الجزائر، 2001، ص 186.

[2] – أسيا تميم، الشخصياتالجزائرية (100 شخصية وفكرية)، دار المسك، الجزائر، 2008، ص 49.

[3] – عمار بوحوش، التاريخ السياسيللجزائر من البداية إلى غاية 1962، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1997م، ص 150.

[4] – عبد مالك مرتاض، أدبالمقاومة الوطنية فيالجزائر (1830–1862)، منشورات المركزالوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، دار هومه، الجزائر، 2009، ص 13.

[5] – العياشي أبو سالم عبد الله، الرحلة العياشية، 1661–1663م، دط،ج1،دار السويدي، الأمارات العربية المتحدة، 2006م، ص 65.

عليه أولاد سيدي الشيخ الغرابة، كما أن احتلال البيض سنة 1845م وإنشاء مركزمراقبة هناك سنة 1853م، يقم من خلاله على الاستمرار المرحلي في سياسة التوغل ومع بداية 1881م استعد الجيش الفرنسي لإقامة مركز للمراقبة قرب زاوية بوعمامة[1].

كما قامت سلطات الاحتلال وضباط المكاتب العربية* في إثارة الشقاق والخصومات بين أفراد الأسرة خاصة بين الشراقة والغرابة[2].

سوء نية الحكومة الاستعمارية، فقد أفشلت كافة المشاريع الإصلاحية ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي، وكانت تقيم جسور على الوديان ومد بعض الطرق للمواصلات البرية بين الأرياف والقبائل مثل فشل البعثة الرسمية لدراسة مشروع مد الخط الحديدي عبر الصحراء في الجنوب الغربي لإقليم وهران خلال سنة 1879م[3].

وهذا ما أحدث قلق متزايد لدى بوعمامة والقبائل الصحراوية التي رفضت السيطرة الفرنسية عليها، ومنه فشلت بعض البعثات مثل بعثة العقيد "فل اترزflatters" من مد طرق المواصلات في الجنوب الغربي الجزائري، أدى إلى إبادة قبائل القاطنة في الجنوب الغربي الجزائر، فكانت ثورة الشيخ بوعمامة هي فرصتهم لتخلص من الاستعمار الطاغي[4].

كذلك نجد من بين الأسباب انتشار المجاعة في أوساط الأهالي الذين جردهم الاستعمار من جميع ممتلكاتهملتسهل عملية إخضاعهم للهيمنة الفرنسية وهكذا تم

---

[1] – جيلالي صاري، ثورة (1881م–1883م)، مجلة الأصالة، ع 87–88، الجزائر، 1980، ص 107.

*المكاتب العربية : أنشئت أول مرة 1833م بهدف فرض فرنسا قبضتها على السكان، وفي 02/01/ 1844، صدور قرار يحدد هياكلها، أما مهمتها فتمثلت في جمع الضرائب ومراقبة النشاط السكان الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، ينظر : بن داهة عدة ،اثر الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي 1830–1962م، ج 2، هدية من وزارة المجاهدين، ص 322.

[2] – يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج2، دار الهدى الجزائر، 2009، ص 16.

[3] – إبراهيم مياسي، دورةثورة الشيخ بوعمامة في التصدي للتوسع الاستعماري، مجلة المصادر، ع 1، الجزائر، ص 3.

[4] – بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، 1830–1889، ج1، دار المعرفة، الجزائر، ص 292.

السيطرة على البلاد[1]، حيث استغل التنافس الذي كان حول الزعامة الحربية والدينية بين القبائل[2].

ومن الأسباب الاقتصادية نجد عدد هام من المراكز الاستيطانية والاستيلاء على مساحة واسعة مب الأراضي، وزحف نحو الجنوب الغربي الجزائري، والاستيلاء على بعض القبائل خاصة قبائل آفلو والبيض[3].

–الأسباب الخارجية:

لعل غزو فرنسا للقطر التونسي الشقيق في مطلع سنة 1881م، بعد أن رغبت في التوسع لقمع المسلمين، وزيادة ثورات الاستعمار هو الذي جعل بوعمامة والقبائل المحاربة لجيوش الاحتلال، وجاء في تقرير جيرفيل (a.grevy) إلى رئيس المجلس بتاريخ 26 جوان 1881م يقول: «أن أسباب الثورة هي حالة التوتر التي يعرفها القطر تونسي وكذاالعا لم العربي ككل"[4]

إضافة إلى ذلك كان لدعوة جمال الدين الأفغاني وحركة سلطان عبد الحميد العثماني الداعية على لم شمل المسلمين تأثير في تفكير بوعمامة باعتباره رجل دين متحمس وصاحب زاوية إصلاح المجتمع الجزائري، الذي هو جزء من المجتمع الإسلامي الكبير[5].

كما كان للدعوة السنوسية تأثير كبير باعتبارها منتشرة في الصحراء والتي ترمي إلى مقاومة الاحتلال الأوروبي للبلاد الإسلامية، حيث كان لهذه الدعوة دورها في تشجيع بوعمامة ورجاله على الوقوف في وجه الاستعمار الفرنسي والتصدي لتوسعاته في المنطقة.

أما السبب المباشر للمقاومة فهو إرسال فرنسا قوة بقيادة نائب رئيس المكتب العربي لمنطقة البيض الملازم واينبرينر (weinbrenner) لاعتقال الطيب الجرماني أحد

---

[1] – إبراهيم مياسي، دور ثورة بوعمامة، المرجع السابق، ص 3.

[2] – عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، ص 44.

[3] –جيلالي صاري، المرجع السابق، ص 109.

[4] – عثمان سعدي، المرجع السابق، ص 603.

[5] – بشير بلاح، المرجع السابق، ص 306.

أتباع بوعمامة ومقدميه،فقد قام المقاومين بقتله يوم 22أفريل 1881م فاشتعلت الثورة[1].

–التحضير للمقاومة:

بعد أن كانت للمقاومة العديد من الأسباب، بدأ الشيخ بوعمامة يعد للثورة التي كان ينوي إعلانها[2] في الوقت المناسب، فبدأ الشيخ يعلن دعايته خلال الزيارات المتعددة لعدد من المناطق والقبائل الصحراوية، للتبشير بما يعتزم القيام به وإقناع الناس بإتباعه وتأييده، وكان من ضمن من زارهم أولاد خليفة، وحميان، أولاد التومي،وأولاد أحمد[3]، حيث كان يرسل عدد من المبعوثين وكانت هذه الزيارات والتنقلات في الشهور الثلاثة الأولى عام 1881م[4].

قام هؤلاء المبعوثين بدور هام في التحضير للمقاومةأولا في نشر أخبارها والاستعلام عن تحركات العدو، حيث يذكر أحد الفرنسيين انه منذ سنة 1887م.

قام الشيخ بوعمامة بأعمال ملموسة لدى القبائل البدوية جنوب إقليم وهران، يبشرون بالجهاد ويسجلون الإخوان وينظمون جهودهم من أجل حركة عامة[5]،وقد حذر أحمد ولد القاضي بفرندة السلطات الفرنسية بتحركات بوعمامة منذ 15 أفريل 1881م، حيث قدم للقائد العسكري للناحية أخبار عن المقاومة التي جمعها من قبل جواسيسه المنتشرين حول زاويته.

ورغم ذلك فإن الحاكم العام للجزائر الجنرال ألبيرقريفيAlberigoia،لميأمربإيقاف الشيخ بوعمامة لأنه صرح من قبل بأن عهد

---

[1] – العربي المنور، المرجع السابق، ص 266.

[2] – إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء، المرجعالسابق، ص 276.

[3] – إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، دار المدني للنشروالتوزيع، صدر بدعم من وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص 97.

[4] – يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص 293.

[5] – عبد القادر خليفي، المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 2010، ص277. ص277.

الثورات قد ولى في الجزائر، ولأنه لا يريد التراجع عن أقواله،فقد اطمأنت السلطات الفرنسية من جانب تحركات بوعمامة، لكنه فاجأهم بالثورة[1].

2 –مراحل الثورة:

أ–مرحلةالعمل العسكري 1881–1883م:

تميزت هذه المرحلة بمواجهات مسلحة، وقد حقق الثوار فيها انتصارات كبيرة على القوات الفرنسية، وبعدها التفت حول الشيخ العديد من القبائل الراغبة في مواجهة الاستعمار، واستطاع في وقت قصير أن يجمع حولي 2300 جندي بين الفرسان والمشاة تتوزعهم القبائل منها: قبائل الطرفي 700 بين فارس ومشاة، وأولاد زياد 180 بين فارس ومشاة، والأحرار 160 وأولاد سيدي الشيخ الغرابة[2]،2050 فارس ومشاة، والمغرار 100، وأولاد سيدي التاج 50 وسكان القصور الجنوبية 500 من المشاة أما القبائل الأخرى 190فارس ومشاة[3].

اغتنم بوعمامة فرصة غياب الجيش الفرنسي المرابط بالمنطقة الوهرانية للمشاركة في حملة على القطر التونسي في أفريل 1881م، فأعلن ثورة وحث بعض القبائل على الجهاد المقدس والانفصال عن السلطات الفرنسية الاستعمارية والالتحاق بالثورة[4].

وقعت أول مواجهة بين الشيخ والقوات الفرنسية في 27 أفريل1881م بسفيسفية أسفرت عن انهزام الجيش الفرنسي المدعم بالقوم، حيث فقد الشيخ بوعمامة عدة رجال[5]، وأمام خطورة الوضع سارعت السلطات العسكرية الفرنسية بتنظيم صفوفها بقيادة الجنرال سوسSuasseبعد أن تمت الاستعدادات من قبل الطرفين وقعت المعركة

---

[1] – إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء، المرجع السابق، ص 277.

[2] – **الغرابة:** هو فرع من أولاد سيدي الشيخ، المقصود بهم المقيمين بالجانب الغربي مقابل الشراقة القاطنين بالجانب الشرقي للمغرب الأقصى...، ينظر: بوعلام بسايح، المرجع السابق، ص 31.

[3] – عبد الله مقلاتي، في جذور الثورة الجزائرية (مقاومة المستعمر المستمرة من الاحتلال إلى الفاتح نوفمبر 1954م)، وزارة الثقافة، الجزائر، ص 191.

[4] – إبراهيم مياسي، الشيخ بوعمامة، المرجع السابق، ص 200.

[5] – إبراهيم مياسي الشيخ بوعمامة والجنرالسوسييه، المرجعالسابق، ص 200.

الطاحنة عرفت بمعركة مولاقmaulak في 19 ماي 1881م، حيث التقى الجيشان، فكان للمعركة صدى واسع في الصحافة الغربية، قالت أن بوعمامة أباد الجيش الفرنسي بمعركة طاحنة بالصحراء، يعيد ثورة أولاد سيدي الشيخ ثانية[1]، وعلى إثرها سارعت السلطات الفرنسية بتنظيم صفوفها ورصدت طابور في منطقة فطراوة ليواجه زحف الثورة خلال الأيام الأخيرة من شهر أفريل ويضم هذا الطابور القوات المسلحة التالية:

ثلاثة فيالق من المشاة، أربع سرايا، فرقةمدفعية،فرق خدمات مختلف المساعدة، الفرق الثلاث سعيدة وفرندة وتيارت 1200حصان[2].

ومنه يواصل بوعمامة سيره نحو التل بعد خسارته في معركة مولاق، فقد استغل بوعمامة هذا الاضطراب في صفوف الأعداء أين قام بمسيرة كبيرة كانت نصرا له و لإتباعه، حيث لم تتمكن القوات الفرنسية من الإمساك به رغم انتشار أعداد ضخمة منها تحت قيادة أكبر قادتها آنذاك، وقد انطلقت هذه المسيرة من الأبيض سيد الشيخ في اتجاه الشمال نحو ستيتين* جنوب عربي فرندة، شرقي مدينة معسكر لتعود ثانية إلى الجنوب ولقد استغرقت مدة 23 يوما من (30ماي إلى 29 جوان 1881م)[3].

قام الثوار خلال هذه المسيرة على قطع خطوط التلغراف الرابطة بين فرندة والبيض والهجوم على التجمعات المتحالفة وقتل عدد من الموظفين الإسبان، كما استولوا أيضا قاطعات كثيرة لبعض القبائل الموالية للفرنسيين.

وتبعا لذلك قامت السلطات الفرنسية تتخذ عددا من الإجراءات لحماية مصالحها فركزت أربع سرايا عسكرية قوية:

1–فيلق رأس الماء تحت قيادة العقيد جانيني (Ganniy).

---

[1] – عبد القادر خليفي، المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص 68.

[2] – إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء، المرجع السابق، ص 280.

***ستيتين:** هي قرية صغيرة مكونة من 30 إلى 40 منزل محاطة بصور له باب واحد ، ولهذا القرية مسجد و ومدرسة ، ينظر : قندوز عياد فوزية ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954م ، الجزائر، هدية من وزارة المجاهدين ، ص 288.

[3] – عبد لقادر خليفي ، المقاومة الشعبية ، المرجع السابق ، ص 73.

2–فيلقبخيثر تحت قيادة العقيد زويني(Zwiney)

3–فيلق تيارت بقيادة العقيد برونتيار (Brunetiere)

3–فيلق بقيادة العقيد تادييو (Tadieu) في انتظار وصول العقيد نيغرييه (Nigrien)[1].

حاولت القوات الفرنسية منع قوات الشيخ من الاتصال بالسكان وإجبارها على السير بسرعة، حتى تفتقر إلى التموين وخاصة المياه في فترة الصيف الحار والجاف، ولكن القوات الفرنسية انتابها الخوف من الشيخ بوعمامة، وأثناء مسريته كانت تنضم إليه القبائل منها قبائل الأغواط الإكسل*، هذه الأخيرة التي تعرضت لهجوم معاكس من قبل قدور الصحراوي**، بجبال عمور يوم 14 جوان 1881م، سيطر على ألف جمل و 900 بقرة و 9500 رأس منالغنم واعتقل كل سكان دوار أولاد سيدي الناصر الذين يمثلون الأنصار المخلصين لأولاد سيدي الشيخ بالمنطقة وقد قتل 85 شخصا[2].

إذن لجأت السلطات الفرنسية إلى استعمال جميع الوسائل لتحطيم الثورة كتحريض القبائل على بعضها البعض مثل: أولاد سيدي الشيخ الغرابة والشراقة، ورغم هذه التحركات والاستعدادات فإن الشيخ بوعمامة بقي سيد الموقف، واكتفى الفرنسيون بالدفاع فقط.

---

[1] – محمد الشريف ولد الحسين، من المقاومة غلى الحرب من اجل الاستقلال 1830–1962م، دارالقصبة،الجزائر،2010، ص ص 24،25.

***قبائل الأغواط الأكسل**: اخذ هذا الاسم من المنطقة الجبلية بجبال عمور وهي جبال الأكسل، بشمال غرب مدينة الأغواط، وهم بدو رحل من خمسة أقسام وهم الرزيقات، وأولاد مومن، قرارية، أولاد سيدي عيسى، أولاد عمران، ينظر: إبراهيم مياسي، الشيخ بوعمامة والجنرال، االمرجع السابق، ص 215.

****قدور ولد الصحراوي**: الذي كان أغا مدينة الأغواط، حارب الفرنسيين .ينظر: بوعلام بسايح، المرجع السابق، ص 75.

[2] – يحي بوعزيز، أضواء على ثورة بوعمامة، المرجع السابق، ص 17.

ويرجع نجاح بوعمامة في نظر "عبد الحميد زوزو" إلى العوامل التالية: سرعة تنقله التي حيرت القادة العسكريين والفرنسيين، معرفته بالمسالك الصحراوية وطرق السير، واعتماده على أسلوب التضليل و إشاعته الإشاعات الكاذبة[1].

وبعد نجاح مسيرة الشيخ بوعمامة التي انتهت 21 جوان1881من والتي لم تكن مثقلة بالغنائم فحسب، بل كانت أيضا ضخمة بشريا وذلك حسب التقارير العسكرية لأن بعض القبائل فضلت الثورة ومواكبته وقبائل فضلت البقاء تحت سلطة الاستعمار، أما جماعة الكولون والقبائل الموالية للسلطة، فإن صدى المسيرة قد ترك في أوساطها جوا من الشعور بالخطر وانعدام الأمن وجعلها تفر إلى ما وراء الخط الفاصل بين التل والصحراء[2].

لكن اكبر انتقام فرنسي هو 16 أوت 1881م، قام جيش الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال نيقرييهNégriehie،استخدم المدفعية الثقيلة عن بعد بتفجير قبة سيدي الشيخ، انتقاما من المقاومين ومحاولة القضاء على الثورة مبررين على حقدهم الصليبي على الإسلام والمقدسات الدينية[3].

من التطورات الهامة التي حصلت خلال هذه الفترة هو انضمام سليمان بن قدور*، زعيم فرع الغرابة إلى مقاومة بوعمامة على رأس حوالي 3 ألاف فارس واتجهوا إلى غرب عين الصفراء وعين بن خليل،مشرية، العريش، رأس الماء، البيض، سبدو، خيثر، فرندة، وأقاموا خطا دفاعيا على مناطق الجنوب الوهراني[4].

---

[1] – عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، المرجع السابق، صص23 ،24.

[2] – عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 27.

[3] – بشير كاشهلفرحي، مختصر وقائع وأحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830–1962، المؤسسةالوطنية للاتصالوالنشر، الجزائر، 2007، ص 86.

***سليمان بن قدور**: هو فرع الغرابة، ورئيس وزعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة، التحق بالعدو الفرنسي في 11 جانفي 1868 بعد ما كان في صف الثورة، وكون قوة شارك في عدة معارك مع قوات العدو ضد المجاهدين، وعين أغا على البيض ثم عزل من منصبه التحق بالمغرب استأنف المقاومة ضد فرنسا، ينظر: مدخل ولاية البيض واهم المقاومات الشعبية، المرجع السابق، ص 114.

[4] – يحي بوعزيز، أضواء على ثورة بو عمامة، المرجعالسابق، ص 20.

بفعل مضايقة الفرنسيين انسحب الشيخ بوعمامة إلى منطقة فقيق داخل المغرب الأقصى، بينما استمرت القوات الفرنسية في ملاحقة جيوش الثورة، ومواجهة القبائل التي وقفت في وجه توسعها وساندت الشيخ في كفاحه، وسارت خلفه إلى فقيق الذي رد عليها بهجوم شرس يوم 16 أفريل 1882م، في شط تيقري، ضد البعثة الطبوغرافية لرسم الخرائط العسكرية والتي كانت محاطة بحامية عسكرية ضخمة، وقعت ملحمة كبيرة سقط على إثرها العديد من القتلى[1].وتكبدت القوات الفرنسية خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، وبالتالي كان لهذه الهزيمة وقع كبير في الأوساط الاستعمارية وخاصة العسكرية منها التي منيت بالفشل الذريعأمام صمود ثورة بوعمامة[2].

كانت هذه المرحلة من أهم مراحل المقاومةه، فهي بالتأكيد في صالح بوعمامة على الصعيدين الشعبي والعسكري، فعلى الصعيد الأول تمكن بوعمامة من كسب ثقة بعض القبائل وجرها إلى العصيان والثورة على الصعيد الثاني من خلال مسيرته التي حير بها القادة العسكريين، حتى أن البعض منهم يتجنب مجابهته وتعرض سبيله[3].

–مرحلة العمل السياسي:1883–1908م:

عرفت مقاومة الشيخ بوعمامة خلال هذه الفترة فتورا ملحوظا بعد أن استقر في مسقط رأسه الحمام الفوقاني بفقيق التي وصلها في جويلية 1883م، ليستعد لتنظيم صفوفه للمستقبل هذا ما جعل السلطات الفرنسية تتخوف من تحركاته الكثيفة، فسارعت إلى إرسال برقية موقعة من طرف الجنرال "سوسييهGustavesoussier" قائد الفيلق التاسع عشر إلى الحكومة في باريس يدعوها إلى الضغط على الملك المغربي لطرد الشيخ من أراضيه المغربية لأنه يشكل خطرا على المصالح الفرنسية وخاصة بعد انطلاق خط السكة الحديدية الرابط بين الشمال والجنوب حيث وصل خط بلدة مشرية

[1] – سعيد بوزيان، المرجع السابق، ص 192.

[2] – إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص 801.

[3] – عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، المرجعالسابق، ص 31.

سنة 1882م، وبذلك سهل نقل المؤن والذخائر والجود بسهولة نحو المناطق الجنوبية لاستغلالها وطرد كل من تسول له نفسه للاحتلال في هذه الجهات

في خضم هذه الظروف بحث الشيخ بوعمامة عن ملجأ له بعيدا عن الفرنسيين فلجا إلى إقليم توات واحتمى بسكان واحة دلدول*، بمقاطعة تينجورارين** مع نهاية سنة 1883م واستقر هناك إلى غاية 1894م، هذي بالزاويتين هناك، وعمل على نشر الطريقة الشيخية وتنظيم دروس دينية ليكسب أنصارا وأتباعا جدد ليواصل بهم الجهاد ويوقف زحف التوسع الاستعماري في الجزائر، كما قام بمراسلة مختلف القبائل الصحراوية من أقصى شرق الصحراء إلى غربها بحثا لهم على الجهاد[1].

كما قام باتصالات سياسية تمثلت في مراسلة الحكام العسكريين الفرنسيين مثل: رسالة بوعمامة إلى الحاكم العسكري لدائرة غرداية يوم 26 أفريل1888م من يحثه فيها على أن يسلك طريق السلم، والأمن والصلح بينهما، وفي نفس الوقت راسل سي قدور بن حمزة زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة يحذره من بغية دسائس وتحركات المصالح الفرنسية لزرع الشقاق والعداوة بين المسلمين وداخل القبائل سواء بالمغرب الأقصى أو الجزائر وحثه على عدم التعامل مع الكفار[2].

وكان الشيخ يتعاون في أعماله مع أشخاص كثر من الصوفيين الذين ظهروا في منطقة تافلالت بالمغرب هذه المنطقة التي حملت هي الأخرى لواء الجهاد ضد الكفار،والتي انتقلت إليها بعض القبائل الجزائرية التي رفضت الخضوع للاستعمار الفرنسي

***واحةدلدول**: منطقة تتكون من عشر قصور يقع مقر بلدتها في قصر أولاد عبود والمنطقة جزء من دائرة أوغرت ولاية أدرار، عبد القادر خليفي، المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص 99.

. ** **تينجوارين أو تيكورارين** : تقع في الجزء الشمالي الشرقي لواحة توات، وهي قصور كثيرة، ينظر : المشير دوك دى توماس، الصحراء الجزائرية ، المصدر السابق، ص 81.

[1]– إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،2007، ص 183.

[2]–إبراهيم محمد السياسي العوامر ،الصروف في تاريخ الصحراء و سوف ، المصدر السابق ، ص 123.

كأولاد جرير*،أولاد زياد**، ذوي منيع***، والعمور****، و الشعانبة*****.

وبهذه الأحداث استطاع الشيخ بوعمامة أن يكسب العديد من الأنصارويحضى بثقة سكان المناطق الصحراوية، ما جعل كل من السلطات الفرنسية والحكومة المغربية تعملان على اكتسابه إلى صفها، فحاولت فرنسا الإتصال به عن طريق المفوضية الفرنسية بطنجة سنة 1892م، للتفاوض حول قضية الأمان[1].

***أولاد جرير** : هم أولاد جرير، بن علوان، بن محمد، بن لقمان، بن خليفة، بن لطيف، بن هندس، بن المشرف بن أثبج، و هم من الرحل الذين و صلوا إلى المنطقة بوسائلهم الخاصة، ينظر : بن يعلي بوزيان، واحة فكيك تاريخ و وثائق و أعلام، مؤسسة من لنشر للطباعة و النشر، دار البيضاء، 1987، ص 65.

****أولاد زياد** : كانوا ينتقلون بماشيتهم إلى جنوب شرق ورقلة في اتجاه قابس و غدامس صيفا، و إلى وادي زرقون شمال غرب غرداية شتاء، ينظر : المشير دوك دى توماس، الصحراء الجزائرية، المصدرالسابق ، ص 209.

*****ذوي منيع** : هي قبيلة عربية كبيرة في الجنوب الغربي الجزائري، قاعدتها بلاد العبادلة ببشار، إلا أنهم كانوا أصحاب تجارة للقوافل، و كانوا يتجولون بين الحدود الجزائرية المغربية، و كانت لهم مصالح و ممتلكات بالجنوب المغربي بحكم تجولهم للتجارة، و حماية الكثير من القصور و القرى بتلك النواحي، أنظر عبد الله حمادي الادرايسي، حاضرة القنادسةوزويتهاالزيانية الشاذلية لهذه الصحراء الجزائريةتاريخ و مناقب، ج 1، ط1، 2013، ص 312.

******العمور**:هم يلتحقون بالأثبج وهم من ولد عمر بن عبد المناف ،من هلال ،قطانين بضواحي و الجبال ،ينظر :عبد الرحمن ابن خلدون ،العبر و ديوان المبتدأ الخبر في أيام العرب و البربر من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،مجلد 11،دار ابن حزم للنشر ، لبنان ، ص ص 34،35.

*******الشعابنة:تقع في جنوب بلاد ميزاب وقد رسخ فيها الإسلام ، على المذهب مالك بن أنس ،و رجالها أهل الصلح هو الكفاح ،وتنتشر هذه القبيلة فوق الأراضي تمتد بين القليعة و متليلي ،ينظر ،أحمد توفيق مدني ،هذه هي الجزائر ،(د ط)،،مكتبة النهضة المصرية ،مصر ،دس،ص ص151،152.

[1] – **قضيةالأمان**: انشغل بهذه القضية الفرنسيون حكاما وإدارة وصحافة، فقد حصل حولها اختلاف من جهة النظر بين الطرفين، فكان الشيخ يرى في هذا الموضوع التفاوض من اجل الصلح والسلم والأمن للجميع واحترام المتبادل داخل مناطق الطرفين في حين قصد السلطات الفرنسية من وراء الأمان هو إعطاء بوعمامة فرصة الاستسلام بدون قيد أو شرط، ينظر: عبد الحميد زوزو ، ثورة بوعمامة 18881–1908 جانبها السياسي 1883– 1909، ج 2 ، موفم للنشر، الجزائر، 2010، ص 10.

أما المغرب فكانت تريده مدافعا عن مناطقها ضد الفرنسيين باسمها، فاختار بوعمامة هذا الأخير بصفتها الدولة الإسلامية، ولكن لا ينتقل الشيخ بوعمامة إلى فقيق مباشرة بل كان تنقله بطيئا، استغرق مدة طويلة حوالي أربع سنوات حيث وصل إلى الحدود في سبتمبر1896م[1].وخلال هذه العودة تداعمت قوات الشيخ بانضمام عدد من القبائل إلى حركته والتي كانت مستعدة للوقوف معه إلى أبعد الحدود، بحيث أصبحت له قوة بشرية وحربية ونفوذ روحي يشابه الوضع الذي كان سائدا سنة 1881م[2].

فهذا الوضع أقلق السلطات الفرنسية خاصة بعد الاعتراف بالشيخ زعيما لقبائل أولاد سيدي الشيخ ومشرفا على كل المناطق الصحراوية، مما دفعها مرة أخرى إلى محاولة كسب وده، لذلك قرر الوالي العام "لافريارL'avrieyere" في 16 أكتوبر 1899م، منحه الأمان العام دون قيد أو شرط، لكن الشيخ لم يلب الدعوة ولم يرفض أيضا بل نجده يستعمل الحيطة واليقظة، فهو يشكر صنيع الحاكم العام ويعتذر له عن عدم وفاء في الوقت الحالي، وأن ذلك يسكون في الوقت المناسب [3].

من هنا بدأت السلطات الفرنسية تضغط على السلطات المغربية لطرد بوعمامة أو تسليمه لها، وقد تجسد هذا الضغط في شكل اتفاقيات بين المغرب وفرنسا المنعقدة في 20 جويلية 1901م، بباريس بين كل من عبد الكريم بن سليمان ووزير الخارجية "مولاي عبد العزيز"* و "دي لكاسييه D'elkasihe" وزير خارجية فرنسا إضافة إلى اتفاقية أخرى في 7 ماي 1902م، والتي صادق عليها من الجانب المغربي "الجباس" وزير الدفاع المغربي أما الجانب الفرنسي يمثل الشكل الآخر للسلطات الفرنسية بالجزائر، وقد

---

[1] – عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، المرجع السابق، ج2، ص ص19،20.

[2] – عبد القادر خليفي، المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص 17. .

[3] – عبد المجيد بن نعيمة، المرجع السابق، ص 100.

* **مولاي عبد العزيز**: سلطان المغرب بعد وفاة والده السلطان مولى الحسن في ليلة الخميس 03 ذو الحجة 1311هـ/ 07 جوان 1894م، دامت مدة ملكه إلى سنة 1327هـ/1908م، ينظر: محمد ابن مصطفى المشرفي، الحلل البهية، المصدر السابق، ص ص 215،217.

تركزت هذه المفاوضات حول مسالة الأمن وتثبيت الحدود والتعاون الاقتصادي بين المغرب وفرنسا.

إذن بموجب هذه الاتفاقيات غير سلطان المغرب موقفه بعدم مساندةبوعمامة وبدأ يكتب له يدعوه لمغادرة فقيق وراسل سكان البلدة يطلب منهم عدم التعاون معه وهكذا منحت هذه الاتفاقيات لفرنسا ورقة رابحة في مجال السياسة الدولية والتنافس على المغرب.[1]

المبحث الثالث: عوامل فشل المقاومة ونتائجها:

–عواملالفشل:

بعد وفاة الشيخ بوعمامة في السابع من أكتوبر عام 1908م عن عمر يناهز السبعين عاما والتي قضى منها أكثر من عشرين عاما (1881–1908م) في الجهاد والمقاومة ضد فرنسا، وبذلك استغرقت الثورة بقيادته أطول مدة في تاريخ ثورات الجزائر، وبعد كل هذا العهد الطويل من شجاعته وثباته، فإن الفرنسيين تمكنوا من هزيمته وذلك لعدة أسباب نذكر منها:

1–سيطرتهم على المناطق الآهلة بالسكان في الشمال ن وبذلك منعوا بوعمامة من التسلل إليها، بل استطاعوا منع تسرب أخبار ثورته إلى المواطنين هناك.[2]

2–تضاعف عدد الجيش والعتاد الحربي فقد استعمل المستعمر الفرنسي في أغلبية المعارك مدفعية الميدان، بينما الشيخ بوعمامة ورجاله يحاربون بنوعين من الأسلحة النوع الأول سيوف وبنادق والنوع الثاني هو الإيمان باللهو الوطن[3].

[1] – عبد القادر خليفي، المقاومة الشعبية، المرجع السابق، ص ص 136،137.

[2] – سعيد بورنان، المرجع السابق، صص 194،195.

[3] –عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، المرجع السابق، ج2،ص 32.

3–قامت السلطةالاستعمارية بحصر الثورة داخل نطاق الصحراء وعزل القبائل الصحراوية نفسها بالضغط عليها ونهب أموالها منها لتوقيع بين القبائل بقصد تعريف كلمتها والعمل أيضا على كسب بعضها بالمال والجاه.[1]

4–مكث بوعمامة في الحدود المغربية عند اشتداد مطاردة الفرنسيين له في الشرق ولم يعد بإمكانه نظرا لازدياد النفوذ الفرنسي في المغرب، أما الجانب الذي أضعف الثورة فيمثل في الشقاق الذي أحدثته السلطة بين قبائل أولاد سيدي الشيخ نفسها وكذلك الخط الحديدي المزعم إيصاله إلى بشار عاملا من عوامل عزل الثورة نحو أقصى الجنوب الغربي[2].

نتائج المقاومة:

ترتبت عن مقاومة بوعمامة عدة نتائج يمكن إدراجها في النقاط التالية:

– قامت السلطات الفرنسية بمعاقبة القبائل التي شاركت في الثورة وذلك بتكليف المهمة للعقيد نيقرييه الذي كانت تصرفاته حمقاء والذي هاجم سكان الشلالةالطهرانية وطلب قائدهم بتسليم الذين شاركوا في معركةمولاك منهم فقد قام بأعمالشنيعة ضد سكان الجنوب[3]، وكان الهدف من وراء ذلك تشتيت وحدة الأهالي الملتفين حول الزاوية ولانتقام من بوعمامة ومناصريه[4]،فرضت القوات الفرنسية على القبائللتوفير حاجات التي تحتاجها من الحيوانات الصالحة للنقل بتجهيزها المختلفة وبحراسها وأتباعها من تلك القبيلة.

كما استعملت فرقة القوم كمحاربين في الصفوف الأولى وبذلك وقع الاقتصاد في الوسائل ماديا وبشريا ومع ذلك نجد السلطات العسكرية لم تهتم بأحوال المرافقين ووسائلهم مثلما تهتم بجنودها وفرقها العسكرية فأحوال المرافقين الجزائريين جد مأساوية

[1] – عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 31.

[2] – عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، المرجع سابق، ص 32.

[3] – إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي، المرجع سابق، ص ص 297،296.

[4] – إبراهيم مياسي، من قضايا، المرجع السابق، ص 177،176.

كشفت المقاومة بوعمامة عن ضعف الفرنسيين في مواجهة المقاومة وه ما دفعهم إلى البحث عن الحلول السياسية من اجل وضع حد للثورة خاصة بعد سنة 1892/1883م حيث طرحت مسألة الأمان التي كانت السلطات الفرنسية تطالب بها بوعمامة الذي ظل يرفضها من خلال المراسلات والمحادثات التي حركتها فرنسا.[1]

[1] – محمد الشريف ولد الحسين، المرجع السابق، ص 26.

خاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي نستنتجأنه لم يكن وليد الصدفة، بلكان من ضمن البرامج المخطط لها من قبل الفرنسيين ،وهذا ما أكدته العديد من العمليات الاستكشافية التي قادها الأوربيونفي الجزائروالصحراءخاصة راجع لكون هذه الأراضي زاخرة بالثروات الطبيعية وخاصة المعدنية فضلا على أن لها موقع استراتيجي،يمثل حلقة وصل بين أجزاء إفريقيا وكذا فضاء واسع لقواعدها العسكرية،لذلك عزمت فرنسا على احتلال الجنوب الواهرني، فسعت جاهدةلإقامة علاقات مع قبائلها،لوضعهم تحت سيطرتها،لكنها لم تفلح في ذلك لأنها اصطدمت في طريقها بمقاومة عنيفة وباسلة،من طرف الأهالي بزعامة أولاد سيدي الشيخ.

ومن بين ما استغلته فرنسا لتحقيق حلمها هو الصراع القائم بين عائلة أولاد سيدي الشيخ، حول الزعامة واتبعت معهما سياسة فرق تسد بحيث ركز الفرنسيين على عنصر انقسام الأسرة إلى فرعي الشراقة و الغرابة،أكثر من اعتمادهم على ولاء الزعماء،وذلك بهدف تدعيم وجودها بالمنطقة ومحاولة إفشال المقاومات الشعبية.

لقد كان لتوسع الفرنسي في الجنوب الغربي أسبابا ودوافعا،جعلتها تسيطر على الممتلكات الصحراوية،وخاصة الجنوب الغربيمنها الدوافع السياسية من خلال رغبة فرنسا لاحتلالها للجنوب الغربي، وزيادة نفوذها وسيطرتها الاستعمارية فستهوتها مواقعها الخلابة وجلبت أنظارها مواردها المعدنية،فكانت رغبتها الاقتصادية تزيد يوم بعد يوم،فرمت بطعمها لعلها تنصير أبنائها،ووضعهم في كنائسها فكانت تلك رغبتها للسيطرة عليها.

ومع مجريات الأحداث نفذت السلطات الاستعمارية توسعها الخطير لاكتشاف أسرارالصحراء من طرف المغامرين الأوربيين، بعد أن استهواهم النشاط التجاري الواسع والمزدهر بالصحراء،فعزموا على احتلالها،فاهتموا بمعرفة المسالك الصحراوية، وتكونت لهذا الغرضعدة جمعيات جغرافيةوعلمية،تكلفت بإرسال البعثات الاستكشافية،وبعدها كان التوسع المنظم

والعسكري لتوات، وعين الصفراء والساورةوتيقورارين فشرعت في تشيد الحصون المنعية،كمراكز ونقاط إرتكاز ومنطلقات أمامية،لحركة الزحف والتوسع الاستعماري في الصحراء الكبرى.

كل الاستراتيجيات التي قامت بها فرنسا في الجنوب الغربي،كان لها ردود فعل فقوبلت بمقاومة الشيخ بوعمامة 1881-1908م، التي كانت من أشد المقاومات الشعبية خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر،كما تبرز لنا هذه الدراسة دور منطقة الجنوب الغربي في المقاومة الشعبية،بحيث أنها لم تكن انتفاضات عشوائيةبل كانت بهدف الدفاع عن الوطن ورفض للوجود الاستعماري ،مما جعله يدحر دعاية فرنسا بأنها قضت على المقاومات الشعبية، وبأن الجزائر تعيش فترة هدوء نسبي .

وهكذا يمكن القول أن التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي خاصة والجزائر عامة كان السبب الحقيقي في انتشار لفقر والأمراض والجهل والأوبئة،التي عاشها الجزائريون وكافح بكل ما يملك من قوة طيلة فترة الاحتلال الطويلة.

قائمة المصادر المطبوعة بالعربية:

1. ابن خلدون عبد الرحمن ،العبر و ديوان المبتدأ الخبر في أيام العرب و البربر من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،مجلد 11،دار ابن حزم للنشر ، لبنان
2. أبو رأس الناصري الجزائري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، ط1، تح: محمد بوركبة، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م.
3. بيلسي، حوليات جزائرية ، تر: بن تركي نصيرة، مج1، الأصالة، الجزائر ، 2012م.
4. ترواملي ، الفرنسيون في الصحراء يوميات حملة حدود الصحراء الجزائرية ، دار غرناطة للنشر و التوزيع ، الجزائر
5. تشرشل شارل هنري ، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004م.
6. الشقراني الرشدى أحمد ،القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط، تر : نصر الدين سعيدوني ، دط، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، 1991م
7. العوامر إبراهيم محمد الساسي ، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تع الجيلالي بن إبراهيم العوامر، ط1، ثالة للنشر، الجزائر.
8. العياشي أبو سالم عبد الله، الرحلة العياشية، 1661-1663م،ج1،دط،دار السويدي، الأمارات العربية المتحدة، 2006
9. فليكسي جاكو ،حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية، تر:حليمة بابوش، دار الرائد للكتاب ، الجزائر،2013م
10. المزاري الأغا بن عودة ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران وإسبانيا وفرنسا، تح: يحي بوعزيز، ج1 ، ط 1 ، دار البصائر، الجزائر، 2007م
11. المشرفي محمد بن مصطفى ، الحلل البهية لملوك الدولة العلوية، ج2، ط1، تح: بوهليلة عريب ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2005م.
12. المشير دوك دي توماس،، الصحراء الجزائرية،تر: قندوز عياد فوزية ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954م

قائمة المراجع المطبوعة بالعربية:

13. أتين برونو ، عبد القادر الجزائري، تر: ميشيل خوري ، ط1،دار عطية للنشر و التوزيع، لبنان،1988م.
14. أجرون شارل روبير ، الجزائريون المسلمون في فرنسا، 1871-1919 م، ترجمة حاج مسعود، ج2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007م.
15. بحوص مالك ، ثورة أولاد سيدي الشيخ، دار الغرب للنشر والتوزيع، (دت)
16. برشان محمد ، النشاط السياسي بملحقة بدايات العمل العسكري الثوري عين الصفراء (1912-1942م)، (د ط)، دار المعابر للنشر والتوزيع وزارة الثقافة، الجزائر، 2013م.
17. برينيان أندري وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: رابح اسطنبولي وآخرون، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984م
18. بسايح بوعلام ، أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بالسيف والقلم 1830 – 1954م عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م.
19. بقطاش خديجة ، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871م، منشورات حلب، الجزائر، 2007م
20. بكري عبد الحميد ، نبذة في تاريخ توات وأعلامها، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين ميلة، الجزائر ط1، 2005م.
21. بلاح بشير ، تاريخ الجزائر المعاصر، 1830-1889، ج1، دار المعرفة، الجزائر.
22. بلخير محمد ، أشعار الهوى و الوغى ، تق: بوعلام بسايح ، تر :نور الدين الخندودي، النشر و وزارة المجاهدين ، 2010.
23. بلعالم محمد باي ، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج 2، دار هومة،الجزائر.
24. بن داهية عدة ، الاستيطان والصراع حو ملكية الأرض ابان الاحتلال الفرنسي في الجزائر، ج2، الجزائر، طبعة خاصة، دار الحكمة، الجزائر، 2008م.
25. بن علي بوبكر ، دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، سلسلة القوافل العلمية، منشور وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر2012.

26. بن يعلي بوزيان، واحة فكيك تاريخ و وثائق و أعلام، مؤسسة من لنشر للطباعة و النشر، دار البيضاء، 1987م.
27. بوحوش عمار ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1997م.
28. بورنان سعيد ، شخصيات بارزة، في كفاح الجزائر (1830-1962)، ط 2 ،ج2، ،دار الأمل، الجزائر، 2004م.
29. بوشارب عبد السلام،الهقارأمجادوإنجاد ، نشر المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995م.
30. بوصفصاف عبد الكريم وآخرون، معجم أعلام الجزائر في القرنين 19 و20، ج1، دار الهدى،الجزائر، 2002م.
31. بوعزيز يحي ، ثورات الجزائر في القرنيين 19 و 20م، منشورات المتحف الوطني للمعاهدة، الجزائر، 1996م.
32. بوعزيز يحي ، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج2، دار الهدى الجزائر، 2009م.
33. بومعزة عبد القادر ، بسكرة في عيون الرحالة الفرنسيين الغربيين، ج 1 ، ط 1، دار علي بن زياد للطباعة والنشر، الجزائر،2011م.
34. تاشجي عبد الرحمان ،الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى،تر: عليعزازي ،منشورات المركز دراسات الجهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي ، ليبيا.
35. تميم أسيا ، الشخصيات الجزائرية (100 شخصية وفكرية)، دار المسك، الجزائر، 2008م.
36. تواتيبومهلة ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1834م، دار المعرفة، ط 1، الجزائر2012 م.
37. تواتي دحمان وآخرون، إقليم توات خلال الثورة الجزائرية 1956-1962، دار الشروق الجزائر، 2008م.
38. جودة حسنين جودة، دراسات في الجغرافية الطبيعية للصحاري العربية، (دط)، لبنان، 1980م.

39. جوليان شارل أندري ،تاريخ الجزائر المعاصر الغزو و بدايات الاستعمار 1827-1871، تر:جمال فاطمي، ط 1 ،دار الأمة، الجزائر،2008م.

40. حباسي شاوشي ، من مظاهر الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830-1962، دار هومة، الجزائر.

41. حرب أديب ، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائر، (1808-1847)،ج 1، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م

42. حمادي الادرايسي عبد الله ، حاضرة القنادسةوزويتهاالزيانية الشاذلية لهذه الصحراء الجزائرية تاريخ و مناقب، ج 1، ط1، 2013م.

43. حمادي الإدريسي عبد الله ، الاستبصار في تاريخ بشار وصحاري الجوار، ج1، ط1، 2013م.

44. حمداني عمار ، تعريب لحسن زغدارة، حقيقة غزو الجزائر، منشورات ثاله، الجزائر، 2007م.

45. حوتيه محمود صالح ، توات والازواد، الجزء الأول، دار الكتاب العربي (د ط) الجزائر، 2007م.

46. 46خلبفي عبد القادر ،جغرافية الجزائر ،طبيعة الاقتصادية البشرية ،ط 1 ،الجزائر ، 1968.

47. خليفي عبد القادر ، المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 2010م

48. خليفي عبد القادر ، محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة 1830-1962م، وديوان المطبوعات الجامعية، 2010م.

49. خيضر إدريس ، البعث في تاريخ الجزائر الحديث (1830-1962م)، ج 1، دار المغرب للنشر والتوزيع، الجزائر2000م.

50. روس. دان ، المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي،1881الى غاية 1912،تر : احمد بحسون ،(دط)،منشوراتاالزواية، المغرب ، 2006م.

51. الزبيري محمد عربي ، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، ا لشركة الوطنية للنشر والتوزيع لجزائر، 1972م.

52. زوزو عبد الحميد ،ثورة بوعمامة 1881-1908م جانبها العسكري 1883-1908م ،ج 1 ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2010م
53. زوزو عبد الحميد ، ثورة بوعمامة 18881-1908م جانبها السياسي 1883- 1909، ج 2 ، موفم للنشر، الجزائر، 2010م.
54. سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج 1،ط 2 ،دار الغرب الإسلامي، لبنان ، 2005م
55. سعد الله أبو قاسم ،تاريخ الجزائر الثقافي،ج6،دار الغرب الإسلامي،لبنان، 1998م.
56. سعيدوني نصر الدين ، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز اليابطين للإبداع الشعري، مكتبة الإسكندرية، 2000
57. سعيدي عثمان ، الجزائر في التاريخ، دار الأمة، الجزائر، 2013م.
58. صاري جيلالي ، دور البيئة في الجزائر، ط1، الجزائر، 1983
59. الصديق الحاج احمد ، تاريخ الثقافي لإقليم توات، مديرية الثقافة لولاية ادرار، ط1، 2003م.
60. الصلابى محمد علي محمد ، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي،(دط)، دار المعرفة للنشر والتوزيع، لبنان.
61. عبد المجيد بن نعيمة، موسوعة أعلام الجزائر، 1830-1954، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007م
62. العربي إسماعيل ، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1988م.
63. عمراوي حميدة، محاضرات في تاريخ الجزائر، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999م.
64. عمورة عمار ، الجزائر بوابة التاريخ الجزائر خاصة ما قبل التاريخ إلى 1962م، ج2، دار المعرفة، الجزائر.
65. عميراوي حميدة وآخرون،السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916م،دار الهدى، عينميلة، ط1، 1993م.
66. عيساوي محمد ، شريخي نبيل ، الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري 1830-1871م، مؤسسة للنشر والتوزيع الحكمة، الجزائر، 2011م.

67. فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرن 18 و19، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. 1984م.
68. فركوس صالح ، تاريخ الجزائر ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى) ، دار العلوم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2005م.
69. قدورة زاهية ، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، 1985 م.
70. قشاط محمد سعد ، عرب الصحراء الكبرى التوارق، ط 4، دار العربية الموسوعات، لبنان 2008 م.
71. قنان جمال ، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر.
72. لفرحي بشير كاشه ، مختصر وقائع وأحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 2007م.
73. محمد الشريف ولد الحسين، من المقاومة غلى الحرب من اجل الاستقلال 1830-1962م، دار القصبة،الجزائر،2010م.
74. المدني أحمد توفيق ، أبطال المقاومة الجزائرية، مج9، عالم المعرفة، الجزائر، 2010م.
75. المدني أحمد توفيق ، كتاب الجزائر، ط4، المؤسسة الوطنية للكتاب، (دط)، الجزائر، 1984م.
76. المدني أحمد توفيق ، هذه هي الجزائر ، مج8 (د ط) ، دار عالم المعرفة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2010 م.
77. مرتاض عبد مالك ، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830-1862)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، دار هومه، الجزائر، 2009م
78. مزيانسعيدي ، نشاط التنصيري للكاردينال لا فيجيري1862-1892م، ط1،دار النشر و الطباعة، لجزائر، 2009م.
79. مصطفي أشرف ،الجزائر الأمة والمجتمع،تر: حنفي بن عيسى،جزائر،2007م.

80. معريش محمد العربي ، المغرب الأقصى في عهد السلطان حسن الأول، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1989.

81. مقلاتي عبد الله ،في جذور الثورة الجزائرية (مقاومة المستعمر المستمرة من الاحتلال إلى الفاتح نوفمبر 1954م)، وزارة الثقافة، الجزائر

82. مهديد إبراهيم ،القطاع الوهراني مابين 1850-1919م دراسة حول المجتمع الجزائر ي الثقافة و الهوية الوطنية(د ط)، دار أديب، الجزائر، (د س).

83. مياسي إبراهيم ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، (1837- 1934)، دار هومة، الجزائر، 2005م.

84. مياسي إبراهيم ، التوسع الفرنسي في الجنوب العربي 1881-1912، منشورات المتحف الوطني للمجاهد،الجزائر.

85. مياسي إبراهيم ، المقاومة الشعبية، دار المدني للنشروالتوزيع، صدر بدعم من وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009م.

86. مياسي إبراهيم ، لمحات من الجهاد الشعب الجزائري،(د ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د ت) ص 35.

87. مياسي إبراهيم ، مقاربات في تاريخ الجزائر، 1830 -1962م، دط، دار هومة، الجزائر، 2007م.

88. مياسي إبراهيم ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،2007م.

89. مياسي إبراهيم ،المقاومة الشعبية، دار المدني للنشر والتوزيع ،بدعم من وزارة الثقافة في إطار وطني للتربية والفنون الجزائر،2009م.

90. نايلي عبد القادر ، المقاومات والانتفاضات الشعبية،،(د ط)،دارالهدي للنشر والتوزيع الجزائر، 2013م.

91. النوري حمو محمد عيسى ، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديث، ج1، (دط)، (دت).

92. وزارة المجاهدين، في تاريخ ولاية البيض بين المقاومة الشعبية وأهم المعارك الكبرى لجيش التحرير، الجزائر.
93. ولد الحسين محمد الشريف ، من المقاومة إلى الحرب من اجل الاستقلال 1830-1962م، دار القصبة،الجزائر،2010م.

المراجع المطبوعة باللغة الفرنسية:

94. BoubakeurHamza, un soufi Algerien, Sidi Cheikh, Tome 1, Edition maison neuve et la rose, paris,1990

الرسائل الجامعية:

95. اليتجاني محمد العيد ، الشؤون الدينية الجزائرية من خلال جريدة المبشر، 1914/1900، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2006/2005م
96. حوتية محمد ، قبيلة كنتة، بين إقليم توات والازواد في القرنين 18 و 19م مذكرةلنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر 1993م.
97. موسى الطاهر، استكشافات الأوروبية للصحراء الجزائرية خلال القرن 19 مذكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ، بجامعة بشار، الجزائر، 2012-2013م.
98. صديق بلال، المشاريع الفرنسية بالصحراء الجزائرية، 1956-1962، مذكرة لنيلشهادة الماجستير في التاريخ، تخصص تاريخ الثورة، معهد الجزائر، 1998م-1999م.
99. خيثر الصافي ، النضال السياسي والثوري في إقليم توات، ما بين 1956 -1962، رسالة الماجستير في التاريخ العام، بشار 2011م-2012م.
100. بن علي بوبكر، الثورية التحريرية في منطقة الساورة(1954-1962م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الثورة، بشار، 2005م-2006م.
101. بن دارة محمد، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1952-1962م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الثورة،جامعة الجزائر، 1998 -1999 م.
102. التلمساني بن يوسف ، التوسع الفرنسي في الجزائر، 1830-1870، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر2، 2004م -2005م.

103. دحيدي مسعود ، البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوسية (1842-1832م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر ، الجزائر ، 2009م-2010م.

104. فاطمة حباش، سي الأعلى بوبكر القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ من 1820-1896م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، وهران، 2004م-2005م.

105. بن قيطون حمزة، المشروع الاستيطاني الفرنسي بإقليم عين الصفراء العسكري (1914-1882) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، أحمد بن بلة،جامعة وهران، 2014م-2015م.

106. حباش فاطمة، المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري 1844-1870سعيدة .تيارت .البيض جيرفيل نموذجا، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2013م – 2014م

107. جراية محمد رشيد، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم تخصص الحضارات القديمة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007م-2008م

مجالات:

108. بلغيت محمد أمين ، الشيخ بوعمامة، القائد المتصوف الصراط،العدد2 ،مجلة كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، مارس 2000م.

109. بلغيث محمد أمين ، السياسة التوسع في جنوب الفرنسي، مجلة الذاكرة، ع 3، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية والثورة أول نوفمبر.

110. بن خويا إدريس ، البعد الروحي لمقاومة الشيخ بوعمامة، مجلة سلسلة القوافل العلمية، ع4، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م.

111. بوعزيز يحي ، أضواء على ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864-1881م، مجلة الثقافة، ع 51، الجزائر، 1979م

112. بوعزيز يحي ، اهتمامات الفرنسيون بالطوارق ومنطقة القهار، مجلة الأصالة، ع72، أوت 1979م.

113. بوعزيز يحي ، اهتمامات الفرنسيون بجنوب الجزائر والصحراء، مجلة الثقافة، العدد 6، الجزائر، 1986م.

114. جعفري مبارك ، المقاومة الشعبية في الجنوب الغربي الجزائري، مقاومة الرقيبات، نموذجا، 1934-1950، مجلة العصور الجديدة ، ع 6 ، دار القدس العربي ، جامعة وهران ، 2012.

115. حسيني عائشة، تاقدمت عاصمة الأمير عبد القادر، المجلة الخلدونية، عدد خاص أكتوبر، جامعة ابن خلدون، 2009م.

116. خليفي عبد القادر ، الطريقة الشيخية أصولها وأذكرها و انتشارها، مجلة سلسلة القوافل العلمية، ع 4 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية الأوقاف، الجزائر، 2011م.

117. شلبي شهر زاد ، الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية، مجلة كان التاريخية، ع11، مارس، 2011م.

118. صاري جيلالي ، ثورة (1881-1883م)، مجلة الأصالة، ع 87-88، الجزائر، 1980م

119. عودي مسعود ، أضواء على التنصير والمنصيرون في الجزائر 180-1892م، مجلة الدراسات التاريخية، ع15-16 ، الجزائر ،2013م

120. غنابزية علي ، المقاومة الشعبية بوادي سوف ، مجلة الباحث ، العدد 4 ، جامعة الوادي ، 2014م.

121. قنان جمال، الأزمة الجزائرية الفرنسية عام 1827م وحدة التراب الوطني، مجلة التاريخ، عدد خاص، الذكر الثلاثون لأول نوفمبر1989م.

122. مريوش أحمد، التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل السكان الهقار 1916م، مجلة مصادر، ع 11،

123. مياسي إبراهيم ، الشيخ بوعمامة والجنرال سوسيه وجه لوجه، مجلة الذاكرة، ع4، المتحف الوطني للمجاهد، 1996م.

124. مياسي إبراهيم ، دورة ثورة الشيخ بوعمامة في التصدي للتوسع الاستعماري، مجلة المصادر، ع 1، الجزائر.

125. مياسي إبراهيم ،ثورة أولاد سيدي الشيخ، مجلة الذاكرة، ع 03، متحف الوطني للمجاهد 1995م.

قائمة المختصرات

كلمة شكر وتقدير

الإهداء

مقدمة..... أ

مدخل : والإطار الجغرافي و البشري للجنوب الغربي **6**

الفصل الأول :**اهتمام الفرنسيين بالجنوب الغربي**..... 16

1- **المبحث الأول** :الحملات العسكرية التأديبية 17

2**- المبحث الثاني** :الاتصالات الفرنسية و عقد العلاقات مع قبائل الجنوب الغربي 29

3-**المبحث الثاني** :ثورة أولاد سيدي الشّيخ كرد فعل 31

الفصل الثاني :**الدّوافع الاحتلال الفرنسي للجنوب الغربي**..... **37**

1 **المبحث الأول** :الدّوافع السياسية 38

2**- المبحث الثاني** :الدّوافع الاقتصادية 42

3**- المبحث الثالث** :الدّوافع الدينية 46

الفصلالثالث :**الغزو الفرنسي للجنوب الغربي 1881-1900م** **51**

1**- المبحثالأول**:الاحتلال الإقليم عين الصفراء 1882م 52

2-**المبحثالثاني**:الاحتلال الإقليم توات 1899م 56

3- **المبحث الثالث** :الاحتلال الإقليم الساورة1903م..... 61

الفصل الرابع :**وردود الفعل على التوسع الفرنسي بوعمامة نموذجا** **65**

1- **المبحث الأول** :مولده والنشأة 66

2- **المبحث الثاني** :مقاومة الشّيخ بوعمامة 1881-1908م 73

1-**المبحث الثالث** : عوامل فشل المقاومة و نتائجها..... 85

خاتمة..... **88**

الملاحق..... **91**

قائمة المصادر والمراجع **101**

الفهرس **112**